

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190189

UNIVERSAL
LIBRARY

مجاهل افريقية

تعريب المعلم شاكر شقير

اللساني

عضو عامل في المجمع العلمي الشرقي

فضل السياحة لذة وفكاهة ولين نجر في العلوم فوائد
فكأنها المرأة فيها تنصر الدنيا وانت على ساطك فاعد

طبع في بيروت بطبعة النديس جاورجوس سنة ١٨٨٥

مكتبة دار الكتب حبيب محمد بن عبد الحميد طهيب قزويني عبد الفتاح كسرويه

القسم الاول

مقدمات اجمالية

الفصل الاول

في حالة افريقية قبل ليفنستون

كانت امطة افريقية في الرمان الاول تطلق على قسم شمالي من القارة
المحالية . وبعد اكتشافات السياح وطوابعهم حول هذا البراءتج صارت تحسب
قارة عظيمة من قارات الكرة الارضية وهي احدى الثلاث الساعلة الوجه الشرقي
منها . مساحتها نحو ٢٥ مليون كيلومتر مربع . وكانت سابقاً متصلة باسيا نقطة
من الرمل فاصلة بين البحر المتوسط والبحر الاحمر يقال لها برزخ السويس
والآن قد صار هذا البرزخ ترعة فصارت افريقية جريرة كبيرة يمدق بها
البحر المتوسط والبحر الاحمر من الشمال والشمال العربي والاقويانوس المحيط من
الشمال الشرقي والشرق وبحر الهند من الغرب والاقويانوس الكبير من الجنوب
وطرفها الجنوبي هو المعروف براس الرعاء الصالح
وعرفت سواحل افريقية في ازمان متساية واما داخلها فبقيت قروناً
عديدة مجهولة لسدة حرارتها وكثرة مخاوفها والاطار والمشقات المعترضة

دون من يتوغل فيها ومع ان اليونان والرومان كانوا يدخلون افريقية ويواصلون سواحلها وبعض قبائلها الداخلية مدة طويلة من الدهر لم يحطر سالم ما في داخلينها من الملاوز والصخاري الرملية والوعور والجبال والانهار ونحو ذلك مما عرفت المتأخرون

فابعد رحلة عرفت من الأثار القديمة رحلة امير بحر قرطاجني نندم على سواحل ليبيا الى ان بلغ النقطة التي زعموا انها خط السرطان . وذكر هيرودوتس رحلة فينيقية كانت تحت حماية نحو ملك مصر وان الحماة دخلوا البحر الاحمر نترعة حفرت حديثاً وبعد ثلاث سنين من مسيرهم في البحر رجعوا الى المكان الذي رحلوا منه وقد مروا باعمدة هرقليس . وتعجب هيرودوتس من امر حدث لم وهو ان الشمس كانت أولاً تطلع عن يسارهم ثم راوها في رجوعهم تطلع عن يمينهم . وهذا يدل على ان هؤلاء الفينيقيين قطعوا خط الاستواء مرتين . وسنة ١٨٢٠ اكتشف السياج قرب راس الرجاء هيكمل سفينة من خشب الارز مدفونة منذ قرون عديدة وزعموا انها سفينة فينيقية

ولا يتعجب الفارسي من ذكر هيرودوتس دخولهم البحر الاحمر نترعة حديثة المحرلان عمية دوليس لم تكن الوحيدة في ررخ السويس فلا قدمون كثيراً ما اجالوا افكارهم في فتح نترعة تصل بين البحر المتوسط والبحر الاحمر فعلى ما يظهر من كلام هذا المورخ ان نحو ملك مصر ففتح تلك النترعة . وعلى راي ديدودورس الصقلي ان دارا الاكبر شرع بهذا العمل سنة ٤٩٠ ق . م واكمل بطليموس سنة ٢٧٧ للميلاد . وذكر بلينيوس ان النترعة كانت تصل الى البحيرات المرة والدلائل كثيرة على القول بانها كانت تنصل ايضاً بالبحر الاحمر . ولما حشرت موخراً في عهد ما هذا وجدت آثار كثيرة تدل على انها من عهد بطليموس او كليوباترة . ودخلتها السفن قديماً الى القرن السادس للمسيح بعناية الامبراطور طرابانوس والامبراطور اورليانوس الرومانيين . ثم طمرت مدة طويلة الى زمن الفتح الاسلامية ففتحها عمرو بن العاص ونبتت مفتوحة الى

زمن المنصور فطرت لسد طريق العصاة المصريين ولم تزل مطبورة الى هذا الزمان فتفتحها المهندس دولسبس المشهور

وكان القدماء كما قلنا لا يعرفون من افريقية الا القسم الشمالي وسائر اقسامها بقيت عامصة حتى على المتأخرين . ومذ القرن الخامس عشر اخذ السياح في التقدم على سواحلها مخاطرهم بانفسهم واول من فعل ذلك البرتوغاليون فتعرفوا السواحل وواصلوا القبايل الداخلية . وكل ما عرف في ذلك الزمان من احوال افريقية بقي على ما هو الى اوائل القرن التاسع عشر الذي نحن فيه ورد على ما تقدم ان الاولين كانوا يعرفون احوال مباهما الداخلية اكثر من المتأخرين الى سنة ١٨٤٠ فقد صنع البرتوغاليون كرات في القرن السادس عشر ومركاتور خارطات سنة ١٥٤١ وكذلك كورونلي سنة ١٦٨٨ وعلى جميعها رسوم بحيرات في افريقية يتفرع منها النيل وفي النسخة نشرت عدة خارطات منها باسم مارين سلودو سنة ١٦٢١ وباسم فراموروس سنة ١٤٥٧ ومرتين بينهم سنة ١٤٩٢ اودياغور بيدرا الاتبيلي سنة ١٥٢٩ ودار الامستردام سنة ١٦٧٦ وابعيل سنة ١٧٤٩ يظهر منها انه منذ عهد قديم قريب من اسفار البرتوغاليين كانوا يعرفون بعض امور مقررة عن بحيرات كبيرة في واسط افريقية دعت العلماء المتأخرين من اساء هذا العصر الى الاستقراءات العظيمة . وقد ذكر بطليموس ان القطر الذي فيه ينابيع النيل يقال له ملاد القمر وهو اسمه الى اليوم وذكر ايضا ان البحيرات التي يخرج منها النيل كثيرة المستنقعات ومع ذلك كان مجهل مواقع هذه البحيرات وعددها

والرحلات التي قام بها الناس الى تلك الاقطار كثيرة منها للعرب ومنها للبرتوغاليين واول رحلة مهمة تذكر رحلة لاون الافريقي ومنها بعد ذلك رحلات كافانسي وبنسيت وروي وكولسي وذلك في القرن السابع عشر ثم رحلات كيبايون وسنيورت ومكاو ودي مرشي وبوكوك ورون وابزر ونوريس وبورمان وبارو ومدزو لاسردا وذلك في القرن الثامن عشر .

وليس في رحلاتهم تقارير يركن إليها . ثم كانت رحلة ادمس وصل بها الى تنكونو سنة ١٨١٠ ورحلة معورك مات بها قتيلاً وهي اول رحلة تقاريرها صحيحة عما يتعلق بهر يجر ثم رحلات كلارنون ولامي ورتشرد لندر وكالبي ثم رحلة رث الشهير ورفيقه فوجل وهما اللذان دخلا الاقطار السودانية التي يشنها الهر المذكور

واما في ساحل افريقية الشرقية فلا يعرف الا رحلة رتوعالية من سنة ١٨٠٦ الى ١٨١٠ وصلوا بها الى مصبات رميز ولم تات رحلاتهم بطائل . ثم كانت رحلة المرسل الانكليزي كرتف ورفيقه ارهت ورممان فاكتشفوا اشياء مهمة في جبال قبية قبيلة بنجارو وحصلوا من تجار العرب في تلك الاقطار افادات تتعلق بالبحيرات الكبرى اذت السياح الى قصدها سنة ١٨٤٥ رحل شاب فرسوي اسمه ميزان وسماه هو حارج من عامويو تحاء زربار قاصداً قرية حل المهرة التي تبعد عن الساحل نحو ٢٠٠ كيلومتر دهمه البرارة وعدوه اشد العذاب وقتلوه وقد كان آملاً ان يبلغ بحيرة تشاد سنة ١٨٥٩ مضى ردشر الهامري مع قافلة من العرب وقارب بحيرة نياصا فقتل وهو ماغم

وهذا يجعل ما عرف من الرحلات الاوروبية الى الاقطار الافريقية الى الوقت الذي قام به العلامة ليبستون باكتشافاته الحليلة بعد ان اقام في افريقية مدة طويلة فتاهب وترع ناول رحلاته سنة ١٨٤٤ ومضى سنة ١٨٥٢ الى غرب افريقية الشمالية ووصل الى ساحل كونغو ورجع الى كيليماني على ساحل افريقية الشرقية ماراً وادي زميز فاكتشف شلالات هذا الهر وهكذا اجتاز ر افريقية من ساحل الى ساحل . امر لم يسبقه اليه احد من الاوروبيين . فلما رأى ان مساعيه تحتم عزم على الاستغراءات الكثيرة في الاقطار السميحة فكان ينجح بواسطة سمو عقله ومعارفه الطبية . فشرع برحلته الثانية الكبرى سنة ١٨٥٨ فاستقرى بها نهر شيري الذي يلتقي برميز واكتشف بحيرة نياصا التي يخرج منها شيري وعرف معرفة تامة التسم الاسل من زميز . وسنة ١٨٦٥

عزم على دخول الفطر المجهول الواقع بين تنغانيقا وبيافا لكي يتم استقراء
الاولى من هاتين الجبيرتين ويتعرف احوال الاقطار التي الى غربيها وتواليها
صاعداً وراء خط الاستواء الى صقع كبير لم تكن احواله معروفة ولذلك قصي
السنين الاخيرة من حياته في انعام مشروعه المذكور من شهر اذار سنة ١٨٦٦
الى شهر ايار سنة ١٨٧٢ لم يكلّ ولا قعد ساعة عن تنج مساعيه فعملوا همة
واحتناده العظيم اكتشف اكتشافات جغرافية ذات اهمية عظيمة ومهد للسياح
سلاعية وهو الذي حرك روح التغاير في السياح بواسطة تجارة العبيد فكادت
سبباً لتقدم العالم في عشرين سنة اكثر مما تقدم في ٢ قرناً قبله . وسدوا ايضاً
بالغ السياح في استقصاء يتابع البيل في جهات مختلفة حتى عرفت معرفة تامة

الفصل الثاني

في مجمل الرحلات الاخيرة

منها رحلة سنك وبرتون قطعاً من الاقيايوس الهندي الى بحيرة تنغانيقا
فرض برتون ونقي في فارة فضى سبيك تمالاً بحسب تعريقات تجار العبيد المهمة
فوصل الى بحيرة اوغيريوي فما قدر ان يستقر بها ومضى عازماً ان يعود اليها ثم
رجع لاحقاً بالقبطان غرت سنة ١٨١١ لفصد البحيرة العظيمة التي يصدر منها
النبل فوصل الى اوغندا فاحس الامبراطور متيساً الثغاة اليها فاجناراً ارضه
وركباً النبل الى غنديو وورو . وسنة ١٨٦٢ اقيمها السائح صموئيل ناكر فافخر

الانكليز سييك قائلين انه كشف بنامع النيل
واقام باكر بعد ذلك يستقري ضفاف النيل الاررق وهو يطارد الصيد
على تلك الجهات وينتد تفاصيل جلية عن تلك الاقطار المتسعة التي بين ارض
الحبشة والمهر الابيض ومضى ايضا حول جبرار الرسوي المشهور فقاتل
الاسود وبينما هو سائر في طريق يجر مرض ومات

وسنة ١٨٦٥ كانت رحلة ليمستون لاستقراء شيري وجبوي بياصا وكان
الرلوع (الرولوس) قبل ذلك قد معوه بتعدياتهم عن هذا الاستقراء
ثم رحل دوشاليو واستقري اقطار كونغو الواسعة واراد ان يصل الى
نعابينا من شاطئها العربي آتيا من خليج غينيا فلم يتوفق الى التوغل
ومضى لوسان الرسوي حائلا نقطة ترحاله في خرطوم قاصدا بلوع
عابون حيث خرج دوشاليو

ونقدم ايضا في تلك الاقطار الكثيرة الاحطار جبررد رولف الالماني
قاصدا تجديد مساعي رث الناجحة واختراق البلاد الى تمكنت في خلال الصحراء
مارا بجيرة تشاد وارض بورو

وكان البحر قد شاع في ذلك الزمان ان ليمستون مات في اثناء تجواله
فعزمت انكلترا على ارسال جماعة للتحقيق عليه فوردت اخاره انه ساع بنجاح
واجتهاد تم انقطع خبره مدة اربع سنوات فنهضت الحمية والهمة بالشحاع العالم
ستابلي ومضى للكشف عن احوال ليمستون فلما وصل الى زيربيار جمع قافلة
ونقدم في طريقه في شهر نيسان سنة ١٨٧١ واخبره طويلا لاجل لها هنا الآن.
وفي تلك الاثناء الى سنة ١٨٨٠ رحل جماعة اخرون مثل توينفرت وصموئيل
باكر وكامرون ونخبغال وبرانسا وبلتون وديز وفلانر ومانشي ومساري
وسر باشتو وغيرهم

الفصل الثالث

في امهار افرقية الكبرى

اولاً النيل

منذ اقدم الازمنة كانت مسألة فيضان النيل تهم جميع من قطعوا على صفتيه
ليعرفوا سببها وعرف ان اقدم المصريين كانوا يحاولون معرفة منبع هذا النهر
العجيب فقبل ان جماعة منهم مشيت في الارض نحو شهربن الى ما فوق اليفينية
واقامت هناك . وذكر سينكا ان الامراتور بيرون ارسل من قبله وفدًا
يستفرون تلك الافطار فصعدوا النهر الى ان بلغوا عديرًا عظيمًا مستنقعًا لم يتيسر
لهم سلوكه ولعله بحيرة الدوء وعلى راي المتأخرين بلغوا بلاد نيام نيام التي
يرونها بحر العرال مع ان السياح المتأخرين منذ أكثر من عشر سنوات
لم يكادوا يبلغونها

ولم نتقدم الى هناك رحلة مهمة قبل اللجنة التي ارسلها محمد علي باشا سنة ١٨٢٩
للمحاج قنصل فرنسا ولم يصادفوا نجاحًا . ثم ارسلت لجنة اخرى تحت قيادة
اربود وسامانبي الفرنسيين فبلغوا من العرض الى ٤٢° ٤٢° ٤٠° ومن ثم طرقت
الطريق التي فتحوها لكن لم يتجاوزها احد للمانع لاستطاع ازالته الى ان كانت
سنة ١٨٤٩ فطلبت الامبراطورة صوفيا النمسية الى البابا بيوس التاسع ارسال

لجنة مبشرين فبلغوا المكان الذي قامت فيه من ثم محملة غمدوقورو
ثم سافر فودي وبعده روتل كل منهما نصفه فنصل سردانيا وصعدا
البل وأعينهما المشقة قبل ان تجاوزا الدرجة الرابعة وكذلك حصل لاثنتين بعدها
غير ان اندريا دونو التاجر المالطي تقدم اكثر من الجميع حتى بلغ الدرجة
النايبة فوق خط الاستواء . ومع كل ذلك لم يكن التحاج على تقدم الى ان قام
سبيك ورتون وقصدا الوصول الى الجبرات الكبرى التي ينشق منها النيل
أخذين من جهة اخرى يمينا في الطريق التي يمضي بها تخار العرب من زير يار
فلما بحيرة تعاليفا وكان قد اخبر بوجودها المرسل اليسوعي البرتوغالي لويس
ماريانا في القرن السابع عشر

وسمع سبيك ورتون من تخار العرب بوجود مجموع مياه فسبح لم يكن
بحراً واقع في الجهة الشمالية ولا تعرف حدوده وكان رتون قد مرض فتركه
سبيك في قارة ونوجه نحو المكان المذكور وبعد مسيره ٢٥ يوماً رأى من راس
هضبة مجموع ماء يتجه الى الشمال وكان متسعاً جداً فلم يستطع دخول هذا
التخار والظواف فيه لسوء اخلاق الاهالي فعدل عن عزمه ادراك ومفكره ان
يعود تايبة وقد عرف انهم يسعون ذلك البحر يبارا أوقيريوي

وهذا الاكتشاف المهم حرك جمعية الجغرافية في لندن وعزمت على ارجاع
سبيك للوقوف على هذه البحيرة العظيمة وارسلت معه القبطان غرنت وامدتها
مال كثير . وارسلت الحكومة امراً الى فنصل حرطوم ان يتقدم في النيل الى
غمدوقورو ويأتي السائحين براد وافر وكان المسوع ان يهرأ عظيمًا يخرج من
تلك البحيرة نحو الشمال ولا يكون هذا المهر الا نس النيل فاشتهر اسم السائحين
المذكورين وانتشر الانكياز باكتشاف يسوع النيل على يدها . غير ان هذه
المسألة التي شعلت الناس منذ ٢٥ سنة لم تحل حلاً كافياً لان الذي
عرف مؤخراً ان النيل اصولاً كثيرة تأتي من الجنوب والشرق والمحجوب
الغربي وتجتمع كلها لتألف مجرى النيل وكانوا كلما عرفوا واحداً من هذه الاصول

يقولون انه مسع الليل والرأي العام كان ان ما يسي هناك بالبحر الابيض هو
الاصل الحقيقي وثبت ذلك رحلة سيلك الثانية . وكان يقال ايضاً ان ما يسي
بالبحر الاررق هو مصدر النيل تم تحققوا ان هذين الهين المسميين بالبحر
الابيض والبحر الازرق يجتمعان تحت الخرطوم عند الدرجة الخامسة عشرة من
العرض الشمالي وقبل ان يجتازا بلاد سنار في محريين كثيرين الصغور برويان
اكبر قسم من بلاد الحشة وهناك ينضم اليها انهر اخرى آتية من مملكة خوا
وبلاذجة . وذكر بعض السياح ان ذلك المهر العظيم يخرج من بحيرة
يقال لها بحيرة الروع محيطها مسير عدة ايام وموقعها الى حوبي جبال قفّة

وبعد الرحلتين التي امر بها محمد علي سنة ١٨٢٩ و ١٨٤٠ توجهت
الافكار الى النهر العظيم الذي يشق بحيرة الوء المسماة عند العرب ببحر الغزال
وبعد ان فتحت الطرق في تلك الاقطار لدخول تجار الامم رأى الاهالي
انفسهم انهم آله للخدمة وغرضاً للشفاء والحسرات فقلت نفثهم بالاجاسب وصار
يصعب جداً تحلل اراضيهم لمعرفة اصل النيل الغربي لكن سنة ١٨٥٦ دخل
تاجر ايطالي في حدود نيام نيام واظهر بعض تفاصيل عن احوال تلك القائل
ثم مضى شوبنغرت واقام ثلث سنين بفحص اقطار باغسة الجبلية التي يخرج منها
عدة جداول يصب منها في النيل ما هو الى جهة الشمال وفي بحيرة تشاد او
نهر كوعو ما هو الى جهة الجنوب . وبواسطة عرف كل التلاع الجنوبي لبحر
الغزال

وبعد ان فحص ايفنستون اقطار بحيرة تغاينا والبحيرات الجوية حسب
انه قد عرف ببايع النيل الحقيقية وكان قد سمع من تجار العرب ان بين تغاينا
والبحيرات الاخرى اتصالية وبعد ذلك اكتشف سيلك وغرنت وباك
واخيراً ستالي ان النيل يخرج من بحيرات عظيمة تتجمع اليها مياه الامطار العربية
ومياه انهار اخرى صغيرة آتية من الجبال الجوية والشمالية
من تلك البحيرات فكتوريا نيانزا شواطئها مخوفة بالعوج والعليق تمتد

وراءها عابات كثيفة من القصب ياوي اليها مرس الماء بكثرة والعوض يكثر هناك حتى يكون كالسحاب والفضائل المجاورة لها خسة الطباع جداً سيئة الجوار وارتفاع موقعها عن سطح البحر ١٠٩٧ متراً ومساحتها نحو ٢٤ ألف كيلومتر مربع وفي ايام الحرّ ثقل مياهها بالتبخّر فتتقص نحو ٢٥ مليار متر مكعب وفيها قطع كبيرة من الارض على هيئة جرر وتشتد بها الانواء بسبب المد والجزر ولها مجرى متصل به بحيرة اخرى كبيرة اسمها مونا سيخ وهي في حصيص حل اسمها جمارا علوه ٤ متر واهله بص اعنياء وينصب الى مكتوريا نهر عتيف الحري يسي الكسندرا عرصه ١٥٠ متراً وعمقه ٤٠ وهو يجمع من ١٧ بحيرة صغيرة وهذه البحيرات يشتمل كلها نهر يخرج من بحيرة اسمها الكسندرا يبارا ويصب في بحيرة ويدمرير

ومن البحيرات الكبرى ايضاً بحيرة كويا تنصب مياهها الى بحيرة اخرى كبيرة اسمها أبر يبارا حولها حمال عالية تمتد من شاطئها الجنوبي عابات طويلة عريضة من الردي

ثانياً نيجر

كان القدماء لا يعرفون حقيقة هذا المهر وخططوا كثيراً في الكلام عليه حتى اوضح معورك ولينغ وكالبي معرفة مجاريه العليا والاخوة لدرمانا تفاصيل كافية عن مصبه سنة ١٨٣٠ وقد هلك بسبب هذا المهر كثير من السباح لصعوبة المسلك في افطاره . مهم سوني وريسون وادم وربلي وكورلي ومنغوروك واندرسون وسكوت ولينغ وكالبي هولاء ماتوا بسدة المشقات . وكلارون ورتشرد وجون لندرو وغيرهم قتلوا قتلاً . وسنة ١٨٥٢ اقطع رث الصحراء وبلاد السودان ووصل الى النيجر ومن هناك اخترق البلاد وبلغ تمبكتو . ونها

نحوه سياح اخرون فلم يتجاوزوا سيعو لان ملكها منع نوعل الاجاب في اكتشاف
البلاد خوفاً من هودهم التجاري

ويجتمع النيجر بنهرى تلميس ولبانة ومن ثم يسي ذبولي ما فيصير مهابا بالنسة
الى البلاد التي يشنها ولا سيما في تحارة فرسا لانه يابوح مهر سعمال الذي
تجري فيه السمس مسافة الف كيلومتر ويجازي مجراه مجرى النيجر الاعلى على
مسافة ٤٠٠ كيلومتر وتجري السفن في النيجر مسافة ٢٠٠ كيلومتر وبهذا تسهل
الاتصال بين سعمال والسودان والصغراء . والافطار التي يشنها النيجر خصبة
متنوعة المحاصلات . وعرضه في قسمه الاعلى نحو ٦٠٠ متر وسيره غير عنيف
في الصيف وعلى صفتيه مفاور رميلة ويمكن سير السفن التجارية فيه هالك . وبعد
ان يجتاز بلاد سيعو يشق سمسديع ثم يدخل مسينا وتتل تعرجاته ويجري في
ارض مسنسلته ثم ينعطف الى الشمال الشرقي ماراً بحدود الصغراء وينته الى
الجنوب الشرقي قبل ان يبلغ جاجو قليل . وجاحو قصة قديمة لملكة سرحاي
وبعد ذلك يجري في بلاد خصبة كثيرة القنائل وبعد مسافة بعيدة يصل الى
قناق يصب اليه مهر ريم ويكون واسطة الاتصال بينه وبين بحيرة تشاد بواسطة
مدينة قامو . وبعد ذلك يصعب ركوبه لعنف مجراه والسبب شلالات بوضه .
ومن هناك تنصب اليه عدة حداول . وبعد ان يجتاز بين حمال قونو ووليم
يصب اليه مهر بوي . وبعد ذلك يمر بمصايق اغمي وينعطف قليلاً نحو
الجنوب الغربي ويصب في الاتلتيك بمصبات عديدة تتألف منها ارض كذلنا
الليل . وطول مجراه عموماً ٢٥٠٠ كيلومتر

ثالثاً كونغو

ويسمى زيري ايضاً وهو نهر عظيم اول من قصد استقراء البرتوغاليون بعد ان استولوا على المكان الذي ينصب منه الى البحر غير ان عنف جريه منعهم عن التقدم فيه . ثم تقدم بعض السياح الى وسطه وكشف بعضهم بحيرة عمدة في الداخلية . ثم دخل الايطاليون في الاقطار الداخلية التي يجري فيها وعرفوا انه يخرج من بحيرة اسمها زيري وهي بحيرة مويرو التي اكتشفها ايفستون في رحلته الثانية . ومن هناك يشعب منه فرع الى الجنوب ويدخل في تلاع زمبيز ثم استقراء ستانلي استقراء حسناً وعرف اقطاره

وهو نهر كبير فسيح عميق يسمى الاهابي باسماء تدل على شدة هوله عندهم كالمنلع والمفرق ونحو ذلك ويتدفق منه في الانليك كل تانية ٥٦ الف متر مكعب وتنصب اليه عدة انهر

رابعاً زمبيز

هذا النهر يصب في ترعة مورمبيق بين ماد كسكر والبر الافريقي ومياهه عند المصب عميقة وتكثر المستنقعات على ضفتيه فتولد حميات وحشرات مهلكة وكان معروفاً منه القسم الذي بين ساحلى البحر وقرية نتي وهذا القسم كان يركبه تجار العبيد واما القسم الباقي فاكتشفه ايفستون وعرف به شلالات فكتوريا العظيمة وتنصب اليه عدة انهر صغيرة ويبيض مرتين في السنة ويجري قسم منه في سهل طوله اكثر من ٢٠٠ فرسخ وقسم في ارض مستوعرة يصعب سلوكه فيها

وعرضه في بقعة منه قبل الشلالات الف متر تم بهوي في هوة عميقة فيرى بها ضباب كثيف ويتصاعد من هناك خمسة اعمدة من البحار صاعدة في السماء وتنزل على الارض كالمطر وهو منظر غريب وبعد ذلك يجري في ارض خصبها لا يقدّر. وطول مجراه ١٤٤٩ كيلومتر وكل ذلك القطر كثير الحيوانات والسات والادغال فهناك الفيل والجاموس والكركدن والعزلان بكثرة والابنوس المتنم ونحوه ونحم الحجر في طينة فسيحة من الارض ويسكن في الفائدة الى اواسط افريقية كسببة الطوبة الى اوروا والامازون الى اميركا الجنوبية

الفصل الرابع

بوادي افريقية

مها البادية الرملية العطية المعروفة بالتصحر امتدة من الساحل العربي من افريقية الى الساحل الشرقي من آسيا الى من الانلييك الى بحر يمان وتليها في خطها بادية ليبيا وبادية العرب وبوادي فارس وبلوخرستان وبحارى تم بادية قوبي الكبرى. وصحراء افريقية طولها ٤٨٠٠ كيلومتر وعرضها ٢٤٠٠ ومساحة سطحها قريب من مساحة سطح اوربا كلها. ويقال انها كانت في الزمان القديم بحراً فارتفع قعره بارتفاعات طبيعية وعلا اوسطة الى ارتفاع نحو ٤٠ متر فوق افطار جبال الاطلس ويحتمس بالتدرج. وتحتربها كتبان كثيرة من كل وجه وفيها ايضاً جبال مستوعرة وصخور عطية وقد تترت فيها مع ذلك بقع قليلة متفرقة يسمونها الواحات فيها شيء من الماء والحصرة. ويسير

الانسان في رمالها الكثيفة وصخورها الصلبة اياماً طويلة لا يرى حيواناً ولا سائناً ولا طائراً واسعة الشمس نفيس عليها كهلب الاتنين فان ثلاثة ارباع سطحها في المنطقة الحارة وتبلغ درجة الحرارة في رمالها الى الدرجة ٧٠ من الميزان المعروف بالسنتيكراد . وتهب فيها الرياح المعروفة بالسوم فتتسبب رمالها وتقلها كالهصاب من مكان الى اخر وهي توج وتدور كتيارات البحار وعند اقتراب العاصف من القافلة تنام الابل على الارض لئلا تحملها الريح والانسان يعطي وجهه ويام في ظل بغيره او يهرب الى حب مخفور هناك اذا اتفق له اكن النجاة نادرة جداً وقد هلكت قوافل عديدة من حرارة الرياح وتراكم الرمال عليها واحياناً تكشف عنهم الرمال بريح اخرى فتطهر ثيابهم الدالة على نكتهم . وكثيراً ما يحرق العبار الخياشيم والرتة فيوقف عليها والريح الحارة تحمل دقائق كربتية تفسد النية ولشدة حرارة هذه الريح وجفافها تمتص ماء النبات الذي تصادفه وتحرق الآكار التي فيها شيء من الماء والقرب المملوء ماء المعلقة في الرحال فيتلف بها الحيوان وبدل النبات وقد تأتي الاعصار بالرمال كاساطين ضخمة قائمة في الهواء تدور على قواعدها فلو صادفت عسكرياً التفت عليه كالحبة واهلكته عن اخره . والصحراء الحقيقية اوقيانوس من الرمال منقوح ودوا ايام شديدة هائلة طالما قاست مصر اخطارها الشديدة وليس لها حاجر يمنع تقدم الرمل في اقطارها الا الليل

وقد توجد في الصحراء آكار قليلة متفرقة ما دام الماء فيها ترى منازل القاطنين محدقة بها وطريق القافلة عليها فاذا صب الماء انتقل الاهالي الى مكان آخر وغيرت القوافل طريقها لئلا تهلك عطشاً . ومع ذلك تسقط الامطار في ايام معلومة فتحيي سانات الواحات وتحيا بها الماشية . والامطار تسقط كالانهار وقد تستمر شهراً كسيول متدفقة . وكثيراً ما تهلك الناس والبهائم بسيول الجبال . فاذا طلعت الشمس تكون الرمال قد امتصت اكثر المياه والشمس تبخر الباقي وتكون المياه الممتصة بالرمال في جوف الارض على اعماق مختلفة

كبيرات متسعة

ومن بوادي افرقية أيضاً صحراء ليبيا تمتد من خلف حمال طو الى وادي الليل وقد ابتلعت رمالها ابنية كثيرة قديمة في الواحات التي على جانبها . وقد حاول السياح اجتياز هذه الصحراء منذ خمسين سنة فلم يقدروا حتى اقدم عليها جبردد رولف فخرج من اسبوط سنة ١٨٧٤ بامدادات من خديوي مصر وقاسى اسد المشقات حتى وصل الى واحة يقال لها الداخلة فاراد ان يتقدم منها الى الواحة النفرة فلم يقدر ان يتغلب على قوى الطبيعة فمضى سنة ايام في رمال متوجة متخللة وقابل كئيباً ارتفاعها ٤٠٠ قدم متوقف وسنة ١٨٧٩ ركب طريقاً آخر فخرج من واحة جالو الى الجنوب الشرقي من ولاية طرابلس وبعد تسعة ايام بلغ الواحة النفرة المذكورة

ثم وصل غيره الى واحة سبوا فلم يقدر ان يتجاوزها فالواحات التي بلغ اليها السياح هي الخارجة والداخلة وفرازة وسبوا وعروا عما وراءها وقد ظن الجغرافيون انه يمكن بلوغ اواسط صحراء ليبيا من جهة السودان الجنوبية

ومنها بادية قلعة حاري الى جنوبي بادية ليبيا تعد عنها خمسين درجة وهي تمتد من الاثنى عشر الى الدرجة ٢٠ من الطول الشرقي ومن مهر اورنج الى بحيرة بحامي ليس فيها محرى ماء والنبات نادرة جداً لكن السات فيها كثير واهلها عديدون وفيها ادغال كثيفة من الشجر وهي سهل مسطح مستو يكثر فيه بقر الوحش والنع الرملية فيها كثيرة متسعة الجواب واداء وقع المطر استقر الماء عدة اشهر في محاري انهر قديمة عميقة لا ترال جافة قبل المطر ولا تجري به لكن قد تنضي سنة بعد سنة ولا ينفع فيها مطر الا ما بدر جداً ويكون الهواء فيها جافاً جداً حتى لو بقي الحديد المصفول في الغراء اشهر لا يعلو الصدأ ويذبل ورق الشجر وسائر النبات ويهلك كثير من الحيوانات الالهية وتهرب الوحشية الى اقطار اخرى الا ما كان من بقر الوحش يصبر على الماء اباماً . ويتنفل الفاطنون هناك الى الاقطار الشمالية

الفصل الخامس

بلاد السودان

هذه البلاد عبارة عن القطر النسيج الواقع بين الصحراء وسحبيا وسلسباني
جبال قوحي وقوبو ومجاهل اواسط افريقية ودارفور وما على خط الاستواء من
بلاد مصر. وقد دعاؤه لاون الافريقي يعرف بيسا اي بلاد العبيد اي السود. وكان
رث اول من افتم تلك الاقطار الخطرة فتشبع بعده بعض السباح فتمهم من
هالك ومهم من قاسى اشد العذابات مفتحيين حتى قلب تلك البلاد فافادوا
العلم فوائد جليلة بشأها فعرفوا ما فيها من العى والحصب وان اهلها ليسوا قبائل
متوحشة كما كان يُظن بل اهل ممالك واسعة الاطراف عديم مبادئ من
التمدن والسياسة ولم تاريج وآداب وحضارة ففهمهم من بعض شعوب اوربا
وقد اوضح نخبيعال وما تشي وساري ولنس امورا كثيرة ما يتعلق بسورق
وباحري ووداي ودارفور

وكان السخ عمر صاحب نورو قد احس الالتمات الى سباح المانيا حين
دخلوا بلاد فافود اليه الملك عليوم امراطور بروسيا الدكتور نخبيعال بهدايا
ميسة تشكر الة على احسانه فاكرم الشيخ عبر وفادته واعانه في حوب الاقطار
المجاورة في مدة خمس سنوات متتامة فانصل الى وداي حيث قُتل فوجل
ونورما قبله وشق في بلاد دارفور وكاست اسماها معلقة عن اهل اوربا

واقام نخنيعال مدة في قوفا قاعدة بورنو فقرر عنها تفريرات مفيدة هي
على ما افاد واقعة على مقربة من بحيرة تشاد في وسط سهل ليس خصباً طبعاً
غير ان الاهالي جعلوا فيه سائين حسنة حول بيوتهم وعددهم كان يبلغ ستين
الفا على عهده وعندهم نشاط في الصناعة والاشتغال في العلوم واتصالاتهم التجارية
كثيرة في الاقطار. وكان ملك وداي قد غرأ هذه المدينة وخرّبها فاعيد ساؤها
مذ ينف وثلاثين سنة

ومن هناك رحل الى كانم قاعدة مملكة بورنو الاصلية موقعها على الشاطئ
المقابل من بحيرة تشاد وبعد ما رجع الى قوفا سافر الى ناجري وهي مملكة الى
جنوبي تشاد شرقها وداي وهي من لواحقها وكانت المحرّت بينهما مذ عدة سنوات
وجنوبها بلاد اهلها وتيون واما اهل ناجري فمسلمون والمملكة حديثة النشأة
اي منذ نحو ٢٥٠ سنة. وبعد ذلك سافر الى وداي مصحوباً بوصية من الشيخ
عمر فاقام بها تسعة اشهر وهذه البلاد مساحتها كربع فرنسا تها إليها بلاد التبوع
وغربها باجري وبينها وبين دارفور بقعة يسكنها القبائل العصاة واهلها
لابنجوازون المليون وهم عرب رعاة ومنهم من سلالة التبوع

واما دارفور فلم يعرفها قبل نخنيعال من الاوروبيين الا جورج سرون
سنة ١٧٩٢ والاقطار الاخرى كانت مجهولة فبرحلة نخنيعال عرفت اماكن
كبيرة بين تشاد ودارفور واتصل الى العرب الاقصى من ارض السودان
المصرية. وعرف احوال تشاد ايضاً وعرف انه كان يشقّ منها نهر اسمه بحر
الرجال ويصبّ في بحيرة اخرى على مسافة نحو ستة كيلومترات الى الشمال
الشرقي في بلاد بودلي واما الآن فلم يعد هذا النهر موجوداً وكذلك بحيرة
بودلي. واكتشف ايضاً عدة بحيرات صغيرة على حدود ناجري ووداي فيظن
انها نفايا بحر قديم

ولما رحل مانشي ومساري قطعاً افريقية كلها في سنة وخمسة اشهر ودخلا
دارفور عن طريق مصر العليا وعمرأ على دخول وداي ورعاها بحمايته السلطان

علي الى حدود بورنو فلم يقدرا ان يدخلوها لما كان فيها من الحروب الاهلية
فخصيا الى مملكة حوصة فوجدوها مامية عامرة بالحصارة واهلها اهل نشاط
وحدق في الاعمال وقاعدتها مدينة قابو اهلها خمسون الفا وازقتها مستقيمة
واسينها حسنة وفيها مدارس وتجارة وصناعة مختلطة . وللدن فيها الاسلام
والسلام فيها والاس والاحسان الى العريب في درجة ممتازة عن سائر افريقية
ولما رحل لنس قصد دخول تمكتو عن طريق الصحراء فخرج من
مراكش بصفة طبيب عثماني وحاب الصحراء بسلام ودخل تمكتو واقام فيها مدة
وعاد عن طريق سعال وقرر عن نجاح تمكتو من عهد برث تقريرا حسنا
فوجد ان اهلها راد عددهم من ١٢ الى ٢٠ الفا وصار فيها مدارس ومكانت
عمومية وصارت حاضرة تلك الاقطار المحدثه بها من جهة الدين والعلم والتجارة
وبالاحمال ملاد السودان كثيرة اسباب النجاح لكن الحشونة عالة فيها
والعلم ليس له اثر حلي والاستعباد فيها يحيط مقام الاساية ومركزها بين الصحراء
والقبائل المتوحشة في اواسط افريقية وعلى حدودها بطن مارتقائها في سلم
الآداب والراحة



الفصل السادس

افريقية الجنوبية

مد اوائل القرن السادس عشر استوطن البرتغاليون ساحلي افريقية الجنوبية واستمرت تلك البلاد ابدتهم نحو ثلثمائة سنة والاستقرارات الحديثة عرفت تلك الاقطار معرفة حقيقية . فكل ما هو الى الجنوب من خط الاستواء كان يظن قبلاً انه لا يستوطن لقلّة ريعه واما الآن فعرف ان خصبة عجيب الا فيها بدر وفيه اثمار كثيرة تنشق سهولة وتروي اغوارها والنبات هناك في اعظم نمو على اختلاف انواعه وفيه من الطيور والوحوش ما لا يقدر من اصعرها الى اكبرها والمعادن ايضا غنية ولا سيما حمى الحجر فانه على كثير من سهل الاستخراج واهم معاديه الذهب والاماس وطبيعة هذا القطر من جهة السكان والحيوانات مخالفة لطبيعة اوروبا . فالعلم مثلاً ليس له صوف بل وبر واما الناس فشعرهم صوفي محض والرجال يرسلون شعرهم والساء يحرزنه وهن يتعاطين الفلاحة والرعاة والرجال يبقون في البيوت يعملون ويسخون ويحملون الماشية وهم حراً . وادا تروج الرجل يدفع لحيته مهرًا والمرأة لا يطلب منها شيء . واهل اوروبا يزعم بعضهم ان الانسان متاصل من الفرد واما اولئك فيقولون ان النفس تستقل بعد الموت الى الفرد واهل اوروبا يحسمون اولئك العيد خشنين واما هم فيحسمون الاوروسين متوحشين

والشائع ان عقول اولئك صغيرة مع انهم حنيفة اذكى من سفلة الاوروبيين
واللغات عندهم جميلة لطيفة الدوق بخلاف ما يقال عنهم

وكان الانكليز من جهة الجيوب والبرتوغاليون من جهة العرب والشرق
يكتمون حنيفة احوال تلك الاقطار الى ان دخلها ليستون محرّك نفوس
السياح لاستفرائها وبذلك تمرّق ذلك المحاب القديم وبعد ذلك ذهبت لجز
خاصة فاقامت على السواحل العربية املاً ان تصل الى الشرقية باجبار
اودية زمير العليا غير انهم لم يصادفوا بجاحاً لاسباب مختلفة ثم رحل سياح
متفرقون واقاموا في جهات مختلفة من النظر الشرقي وفتحوا ماكتشافاتهم من
لمنوا الى رميز واشهر الرحلات التي استعملت بها تلك المجهل رحلة سرباستو
البرتوغالي رحل من سعالا في تشرين الثاني سنة ١٨٧٧ ومعه اثنان احراف
واخذوا في طريق اقرب الى الجنوب من التي سار بها كامرون قبلهم وروا
بارض يقال لها كويالجة اهلها في غابة الخشونة حتى ان المرأة عندهم تباع بقبضتين
من العرق واربع ادرع من الثياب ولما بلغوا بحد كوكدة انفصل سرباستو عن
رفيقه فذهبا لاستقراء الامهر التي تخري الى الشمال ونصب في ريري فانيا فوائد
حمة . واما هو فجمع رهطاً ومضى به لدحول الاراضي التي تصعب فيها سلامة
البض فلما تقدم كان الناس يستنكرون امره ويطنون انه مقدم طليعة جيش
ات لاكتساح البلاد فهرّ منه الدين استنصهم وقد صار عددهم نحو اربعين
فقتل اربعة اشهر في العداة والمشقات الشديدة بين الاخطار ومع ذلك لم
يصعب عزمه وحال في اقطار كانت بيد البرتوغاليين وهي حتى ذلك الوقت
غير معروفة جيداً ولم تؤثر في تمدنها مواصلات تحار العبيد فبقي اهلها على
حشونهم العظيمة

ولما وصل سرباستو الى نجد كنجلة وجد تجارة العبيد فيها في غابة الرواج
وكان يجتهد في تحليلص جماعات كثيرة من العبيد الارقاء . وتجاوز تلك المنطقة
الى ان انتهى الى الاد الامولة وهناك امة من البراسق يقال لهم المكصكة

يعتبرون ادني ام افريقية الحوية يعيشون قبائل بالاروساء احراراً كالوحوش في البلاد التي بين نهري كوشكو وكواندو وداهم الانتقال لاينامون ليلتين في عملة واحدة وياكلون اصول النباتات ولحم الحيوانات ملامح ومن العجيب انهم من سلالة بيضاء بطير البيض الدب رأهم ستالي في حما راجارا على ضفة موانسج . ونقدم سربانتو من هناك الى ان بلغ قرية اشدد به الجوع عندها ورفاقه ايضاً فلم يمكنهم تحصيل الطعام لانتهت القرية ووصل بعدها الى بلاد لوياس فاحسن رئيسها الالتفات اليه وارسل معها قافلة الى شغالا غير ان السودان بعد ذلك وجدوا انه سبب لثلف تجارتهم فاوغروا عليه صدر الحاكم واغروا اتباعه بالفرار من خدمته ومعوا عنه الطعام وحاولوا قتله مراراً واحيراً هب اتباعه ذخيرته ليلاً وقرروا الا ان اوراقه بقيت محفوظة . وعلم بعد ذلك ان رجلاً انكليزياً أسر بامر الملك لاوصى في موضع بعد ٦ كيلومتر مضي الى هناك وتداخل مع الملك واستحصل منه بعد اطلاق الاسير قوارب ليركب نهر زمبيز وعرف كل ما يتعلق بالقسم الاعلى من ذلك النهر العظيم والانهير التي تنصل به وتحص احوال البلاد ومحاصيلها واخلاق اهليها وما يتعلق بذلك فاخبار رحلته اصدق الاخبار من هذا القبيل

ومن الاماكن المشهورة في حبوب افريقية صنع استعمرة الانكليز وسي ترسوال اشهر قديماً بان فيه معادن ذهبية وافرة المحصول فتوحيث اليه الخواطر وقصد السباح من كل البلاد . وفي سنة ١٨٦٧ رحل كارل موك وظاف الاقطار الواقعة الى جنوبي لمبونو المعروف بنهر التماسج فوجد آثار اشغال قديمة طمها آثار استخراج الذهب من تلك المعادن ووجد قرب تلك المناجم خربات انبية صممة قديمة العهد جداً فطن البعض انها من عهد سليمان وان هناك معادن اوفير الكثيرة الذهب وذهب اخرون انها من فايامة في اول وصول البشر الى تلك الاقطار . فظهر الآن انها آثار قبائل من العرب استولى عليها البرتوغاليون في القرن السادس عشر . ولما شاع امرها

باخمار كارل موك قصدها اللاس وانشئت هناك مدينتان سميتا ليدنبرج
ومرايا فعرنا في مدة قصيرة وانتشر الاجاب الى مسافة بعيدة منها

وسنة ١٨٦٥ شاع حر نظير ما تقدم فتهافت اللاس الى بلاد يقال لها
غريكند بين جمهورية اورنخ والجنوب الشرقي من بادية قلعة حاري . وهذه
المقاطعة على ضفة نهر اورنخ في مساحة ١٢٨٠ ميلاً وهي قليلة الماء جداً وفي
السنة المذكورة كان عدد اهلها ٢٠ ألفاً بعد ان شاع الحبر بوحود اللاس فيها
نصاعف عدد سكانها في بضعة اشهر واخذ اللاس يشنون الارض من كل
وجه ووجدوا بعض اشياء دعت الى تزايد اجتماع اللاس اليها

ولم يكن ما حدث امراً حديداً في ايام الحكومة الهولندية سنة ١٧٥٠
وحدث خارطة مرسوم عليها الاماكن التي فيها اللاس فحشرت الارض كثيراً
وحدثت اسباب تموسيت بها تلك الاعمال الى ان جددت في العهد المتاخر
المذكور . وقد عرف ان الاهالي كانوا منذ مدة طويلة يستعملون قطع اللاس
للتعب لا للتخلي بها فقبل كانوا يحرقون بها الارحية

وسنة ١٨٦٧ دخل احد التجار ارضاً يعملها رجل يوبري اسمه يعنوب فراى
الاولاد يلعبون بحصى شفاقة لامعة ومراً من هناك رجل بصطاد العام فانق
هو والتاجر على ان يتخا هذه الحصى اعلمها الماسية تحروا بها لوحاً من الزجاج
وساموها واخذ احدهم واحدة منها لكي يبيعهها ويقسم ثمنها بين الرجل الوبري
ورقيقه فبلغ ثمنها ١٢٥٠٠ فريك . فشاع الحبر بسرعة البرق وكادت الفضة
تضطرم في المقاطعة المذكورة وانفق ذلك في الوقت الذي فيه انخفضت اسعار
الصوف وحدث وباء انلف البهايم

ثم وجد الاوروبيون قطعاً اخر الماسية واتى الكثرة ابصاراً فقطع كانت
عندهم من عهد طويل وحينئذ وجد الحجر الشهير باسم كوكب اوريقية الجنوبية
اشترى اولاً من احد الكثرة بعشرة الاف فريك وبيع ثلثمائة الف فريك ثم
بلغ ثمنه ٨٥٠ الف فريك فاشتراه اللورد ددلي وفي هذه

وكان يظن ان مصدر الالماس المهران اللذان يصران في هراورنج ونهر
وال ثم علموا ان بقعة في قلب البلاد فيها كميات وافرة وروي عن خبرها
ما يأتي

كان رجل درسوي الاصل في بقعة من الارض يعملها قاعاً مما يحصل له
من محصولها فاتفق يوماً انه رأى جماعة عليهم هيئة الحناء تد اقتسموا ارضه اقتساماً
مريباً ولم يكن له اطلاع على ما جرى من اكتشاف الالماس في المهر كما مرّ مخاف
منهم لانه ظن ان قصدهم اكتساح ارضه وطرده منها جميع كل ما كان له من
الحثيف والثقل في عجلة وورّ في جوف الليل وهو يبدب سوء حظّه وبعد قليل
اهتدوا الى مكانه وانوا يطالسون اتباع ارضه فلبسة خوفاً لم يشأ ان يقاتلهم حتى
اقتسموه بالرهان ان مرادهم احد الارض يملع برصيه وعرضوا عليه ١٢٥ الف
فريك ذهباً فاطأوا قلبه واجابهم الى طلبهم فقسموا الارض انقساماً مرعة وصاروا
يجرون فيخرج لهم الالماس مع التراب وعدل المحصول السبوي ما كثر من ٢٣٧
مليون فريك لكن كانت الصعوبة شديدة في الإقامة تلك الاراضي الثمرة
الخالية من الماء والنبات فكان الذي عنده سر في احدي جهاتها يبيع الماء
بتفله وقصة ثرياً وكان يلزم استغلال الخطب من اماكن بعيدة جداً حتى ادخلت
آلة بحارية سنة ١٨٧٥ وكان طن ثم الحجر يكلف من انكثرت الى عربكلمد
نحو ٢٠٠٠ فريك والهواء هناك شديد التعبر والليل في اشد البرودة والنهار
شديد الحرارة والعواصف لا تطاق لعبها والرد والرق يكونان هائلين جداً
وكمر نائية الجو في غاية السرعة والكنزة حتى لو مرّت اسان المشط في شعر
الراس تولدت الكبر بائية وتاتي الرياح الحارة بعار كثيف كالصباغ المنشر
فيحرق الاعين والخياشيم فلا يستطيع الإقامة هناك الا الجلود الذي يساعده
التوفيق ولذلك صار من الدور استخراج الالماس . ثم عقدت شركات عظيمة
واتخذت وسائل مختلفة لتسهيل العمل خففت عنها المشقة من جهة لكن خاستها
اللعنة من اخرى فانهم كانوا يسرقون ما يستطيعون رعباً عن التشديد في المحافظة

والصرامة في عقاب من يشعرون بسرقة فليل ان معدل ما كان يسرق يومياً من الالماس يبلغ ٢٥ في المئة

وما يدكر في ما تجاوز عريكند الى الحوب تربية العام وذلك في مواضع على تخوم رية يقال لها الحوب حديثة لكن لارمل فيها واقعة الى الجيوب من هر اورنج وطريقة التربية ان توحذ الابى مع رتالها . تناع ماكثر من مئة فريك . وادا لم يجد المشتري انى تستخدم لثقب البيض طريقة صاعية كما يعملون مثلاً في بلاد مصر سيص الدجاج . وتوضع الرتال اى الراج في حظيرة مسيجة فاذا صار عمرها ثلاث سنوات باخذون من ريتها ما يوافق للتجارة فيكون محصول الريش السوي من ١٠ الى ١٥٠ فريكاً عن كل فرد منها وقد اتسعت هذه التجارة جداً حتى قيل ان بعض البيوت التجارية تصدر كل شهر عشرة آلاف كيلو من الريش

واهل تلك الاقطار العجيبة صلمان متافصان احدها آخذ في مراقبي التمدن ويقال لهم الويرة والآخر في اقصى درجات النوحش وهم البوسشماس اى اسان العابات لانهم يعيشون كالوحوش في الادعال والعباض

فاما البوير فيهم من سلالة المهاجرين المولدين قديماً حين كانت ولاية الراس من املاكهم فلما غلبها الانكليزانوا من الفناء تحت سيادتهم هجروا بلادهم واشأوا مستعمرات نانال واورنج وترنسوال . وانصم اليهم مهاجرون فرنسيون طردوا من بلادهم على اثر مؤتمر ست فتألفوا جميعاً وناسلوا وخرجت منهم اجيال شداد البنية كبار الاحسام ولم يبق عندهم من الدين الا اثر قليل فيقصون ايامهم في الصيد على الحبل ويرعون المواشي في مراعي حصنة متسعة لا يمنعهم منها الوطنيون وصار من عادتهم ان يجتمعوا في الكبسة مرة في السنة وهذا الاجتماع ياتي به الناس من كل الاقطار واطراف البلاد ويستمر اسوعاً . ومن عادة البوير ان يجتمعوا الذهب في مازلم ولا يشتعلون به ويتوارثونه من احيال قديمة فقد يكون عند الواحد مبالغ حسنة يكثرها في اماكن لا يعرفها غيرهم

ولهم في الحرب قوة وحاد وحسن تدبير وكثيراً ما ضابقوا الأكليل في
حرهم الأخيرة معهم

وأما سكان الغابات فهم مودج الإنسان في أول أجياله المنوحنة فانهم في
أدنى درجة من سلم الأمم ومحسوس أدية على الفئائل المخاورة لهم فلم يرل اللاس
يطردوهم من قطار الى آخر حتى استقروا في ناحية قاحلة بباب لا يبت فيها
الأقاييل من العوسج وهم صغار الفامات نخاف الأبدان حداً هيئتهم وحشية
أقرب الى الفزود الكمار ما الى الإنسان . لا لاس لهم إلا ارار للنقص من
جلد الحيوانات يسر عورتهم وليس لهم نظام نشري ولا صاعة ولا زراعة ولا
مواشي يعيشون من السبد والسرقة وقد يقصون اياماً طويلة في المجاعة ويعزون
حيراتهم تحت الاخطار ليحصلوا ما يسدون به الرقى . والفئائل التريفة منهم
يعاملونهم معاملة وحوش مصرة يصطادوهم صيداً ويقتلونهم بلا سب ولا
مبالاة وكثيراً ما يستعد البورية من يحصل يدهم منهم لأن لهم مهارة في وجدان
الحيوانات الالهية اذا ضلّت . وطريقة اسرهم انهم يرصدونهم ويخناطون منازلهم
وفي الكواح حنيرة حدّاً ويطلقون المادق فيخاف المساكين لأن صوت البارود
يرعهم حدّاً فينفون في اماكهم لا يستطيعون الفرار فيقصون عليهم ويلاطفونهم
أولاً ويعطونهم راداً كثيراً مختلفاً فيعترون ويمصون معهم الى الخنول وهناك
يستخدموهم لعل الأرض بالقوت الضروري

وليس لهؤلاء الوحوش عيال معروفة فلا يعرف الولد الأمه حتى اذا ترعرع
تركها وتركته والذي يشج منهم ويعجز لا يلتصق اليه احد فيبوت جوعاً او تنرسه
الضواري

واسبب شقاء الدواة والجوع ونحو ذلك يكادون يفرصون في المحفة
الشرقية من ناحية قلعة حاري وأما الدين الى عربها فيستخدمون لشدة مهارتهم
في سلوك العياض والادعال فيعيشون عيشة حسنة مع من يجاورهم

الفصل السابع

في الافريقيين عموماً

ان الاختلاف الذي بين القبائل الافريقية وعاداتهم ولعائهم ليس اقل مما بين محاصيل اراضيها المتنوعة . ويقسمون عموماً الى قسمين سود وسمر وقبائل السمر اكثر بكثير من قبائل السود الاصليين ولا يرالون بزدادون عليهم ويستعرقون معظمهم وقواهم العناية اعظم من قوى السود . والدين في عرب افريقية من السود قد دخلوا حداً لافراطهم بالمسكرات . والهئية الاجتماعية عند السمر حسنة المظام حتى ان بعض شعوب اوروا يجسسون دون بعضهم وفي افريقية كل انواع الحكومات من جمهورية ومطلقة ومشيخة ومجلسية حتى ان عند بعضهم رتاسياسية وخاصة مبنية على نظامات اصولية حسنة المبادئ لكن هذا محصور في قسم صغير لان الافريقيين اجمالاً كالارقاء لاهل السيادة والمرأة عندهم منخطة المقام حداً تستخدم للاعمال والاحمال وتناع كانها من اصناف التجارة ولا تعتبر زوجة حقيقية وقيمتها بكثرة اولادها . والتي لا تستخدم في الاعمال الشاقة يكون مقامها ك مقام البهية التي يرأ لحمها ولبنها وهذا يحسب اكراماً لها كما نكرم البهية بحسن المعاملة لكن في بعض الاقطار السودانية مثلاً وما ناوحها تكون للمرأة سيادة خاصة

خلافاً للشعوب الأخرى حتى إن الحكم يكون بيدها في بعض الممالك فملكة
روندة مثلاً بين مونا نسج ومكتوريا يبارا نحكها امرأة قائمة بتعاضد وسلامها
والطامات العسكرية في أفر بنية ما يستحق الذكر مع قطع النظر عن
القنائل العربية والحشية المعروفة أحوالها فينصى العجب من ينف على عسكرية
بعض ممالك السودان ولا سيما مملكة أوجندة شمالي فكتوريا فند ذكر سنالي
تأكد أن عسكر الامبراطور منيسا كان في بعض حروب مولانا من ١٥ ألف
مقاتل و ١٠٠ ألف من ساء وأولاد وعبد والمعسكر كان مشتملاً على ثلاثين
ألف مخيم كلها بنيت ماء حسناً في ساعات قليلة يبيت فيها ٢٠٠ ألف نس

وبعض أم أفر بنية تستحق الذكر الخاص لرأته أحوالها . فالقنائل
الفاطيين على صفاء الليل الأعلى الكثيرة المستنعات تناسب صفاتهم أحوال
الأرض التي يعيشون فيها بهم بالسنة إلى الشر كالطيور المائية بالسنة إلى
الطيور فطول أقامتهم في المستنعات قد صارت أرحلهم مقاطعة يتكون بها من
الوقوف على الأرض الوحشية ولا يعرفون كما تكون الطيور العشائية الأرحل في
الماء . وسوقهم دقيقة طويلة ليس فيها لحم ورؤوسهم صغيرة مصعطة ورقابهم
طويلة وينفون ساعات على رجل واحدة برصدون السمك ليصطادوه وإذا
مشوا تكون خطاهم بطيئة متسعة لطول أرحلهم

وأما أهل أوجندة فمعكس هؤلاء مع أن المسافة بين البلدين ليست طويلة
فأنهم حيرانهم ومع ذلك فهم أهل نحاح ومعرفة وهيئات حسنة . وبحساب هؤلاء
في جبال جبراحا قبيلة من البص أنت من أويورو وتداخلهم في الأسباب
مع القنائل المحاورة لهم اختلفت طبيعتهم وتغير لونهم بالتدرج غير أن الاشتراك
منهم لا يتزوجون إلا من أنفسهم ولذلك قد نقوا على أصلهم . وهؤلاء القوم
لا يحبون الحروب مما قبل فتنة بلعاً ون إلى شواحي الجبال بين التلوح فلا
يستطيع أعداؤهم لحاقهم فيجتفرونهم لأنهم جبناء

وأقام شويغرت بينهم مدة تعرف بتدقيق أحوال الطائفة منهم المشهورة

باسم نيام نيام التي ذاعت عنها حكايات مختلفة فكان يقال ان لهم اذاناً والحق
ان هذا المظهر ناتج عن زئيم في الملمس وذكر شوبيرت انهم اشد فطنة من
السود وشعرهم غير صوفي يلفونه عنائص وهيئتهم بعيدة عن هيئة سائر جيرانهم
وعيونهم كبيرة مشفوفة على شكل اللوزة وحواجبهم كثيفة وانهم مستقيم عريض
مستوي في كل علوه وبذلك يفرق هؤلاء عن سائر اهل افريقية وهم مجوس
الحرب والشعل والصيد ولهم في ذلك حكايات . واكل لحوم البشر مشهور
عندهم استدلل على ذلك بكثرة المراقبة وعرف ايضا ان منهم عدداً قليلاً
لا ياكلون لحم اعدائهم

وبين الدرجة الاولى والدرجة الثانية من العرض الشمالي الى جنوبي ارض
نيام نيام مواطن امة يقال لها العفاء وهم صغار الاحسام حذاً ولهم في الحكايات
والسير المتعلنة بالوسط افريقية مكان عظيم . فاداسافر الانسان في الليل
الاعلى ووصل فوق غندوروقوسار في نهر حور او طاف في حوار ألبرت
نيابرا يقول انه رفاقه من اهل الملاد انه سيرى في ابواسط افريقية قوماً من
القرم يعترضونه بخصوصومات شديدة . ولهم في الصيد مهارة وحذق واقدام حتى
يهممون على الليل برمح بسيط كانهم يطاردون غراًلاً . فاذا دنا احداهم من
الغيل يرميه سلة في عبيد ثم يعمس تحت بطيخه ويطعمه بالرمح ويهرب بسرعة
قبل ان يصل اليه خرطوم الغيل وهم الذين يصدرون على الاكثر العاج الواور
الى ارض السودان المصرية . ولا يبلغ طول الواحد منهم اكثر من ذراع ونصف
غير ان شوبيرت سعى سيم وهو يقيس الاحسام فوجد ان اطولهم لا يبلغ اكثر
من متر ونصف ويتنحر حكام السودان ان يكون من جملة حشيم جماعة من
هؤلاء للتمكك باعمالهم

وبالنظر الى التركيب الطبيعي يقال ان الاسود ارتقى في الاعمال البدنية
من الاوروبي الآن عصلة غير قوي . واما بالنظر الى القوى العقلية فالسود
في ادنى درجة بالنسبة الى البيض لانهم لا يعرفون الا المالا في الحسنة ولا يمهون

من الافكار الا ما نتيجته مادية وتاثيراتهم اذا حدث حادث تكون عرضية قصيرة الوقت ويوصفون سلامة الطوية وعدم التعرض للاذى في الاماكن التي لا تنسد بها طائعتهم ولا يبهيمهم تخار العبيد واذا احسن اليهم تحسن خدمتهم وتطيب انفسهم جداً ومن عوائدهم المستفجة التي تسع سجنهم وتزدرى بها اجسادهم استعمال الوشم والتخديش والقطع في بعض اعضائهم ثم دهن رؤوسهم وابدانهم بالتراب اللرج والادهان استمراراً حتى تولد في ابدانهم الهوام بكثرة عجيبة لتراكم الاوساخ وكثيرون منهم يدخنون ابدانهم شحم ورماد لانتفاء لدغ الحشرات والخلاعة في بعض القبائل وطريقة. وفي جهات النيل الاعلى يخذون اطيابهم وادهانهم من روث الفر وبول ومن الرماد ويسلمون آية اللان ونحوها سول البقر استعاضة عن الملح لعدم وجوده عندهم

والوشم والتعديش امر عام عندهم وتخرج ابدانهم بمخطوط طويلة وقب حافتي الجرح الى الخارج يورث اترأ تحميماً فيحمي وينقون آذانهم ويكبرون بها اطرق مخالفة لطريقة هود البرازيل ويعلمون فيها ادوات مختلفة وكذلك تعمل النساء نانو من وشماهن وقد يعلنن في الشفتين قطعاً مستديرة من الخشب وكلما كانت المرأة بارعة في التبرج والغخ تكون الخشبة اكبر. واحسن الحلي عندهم الفلاند. واكلة لحوم البشر يقدونها من اسنان القتلى واذا لس الانسان فلاة من اسنان من قتلهم بيده كانت قيمتها كبيرة جداً

والعاج في نلاع نهر كونغو كثير جداً ويحس الثمن لان الثمار لم يتصلوا الى تلك الافطار ويهتوم حلينهم ويعلمون منه اساور وخلاخل وادوات كثيرة لا طائل نحها. وذكر ليمستون وكامرون وسنالي عند دخولهم ارض ميامة ان نصف الكيلو من العاج كان يساوي اقل من غرش

وفي وادي زميزر وبعض نلاع كونغو الاعشار الاول للادوات النحاسية والنساء يكثرن من التحلي بها حتي يكون على الواحدة ما وزنه اربعون ليبرة. وقد يكون ثقل الطوق النحاسي وهو حلقات عديدة تلف بها العنق اكثر من ١٥

كيلو ولذلك اذا ماتت المرأة يكون اول ما يفعله زوجها انه يقطع راسها لينقى له الطوق

ومن غريب عاداتهم حمل اسنانهم ذات رؤوس حادة اما لسهولة اكلة الخضم خصمه اذا تدابوا في القتال او لسهولة مصع اللحم اليه . وعلمية ذلك تقوم بان ينام الطالب لذلك ويضع فاهه ويضع فيه خشنه لينة لئلا تنكسر السن بالمعامة . ويركب العامل على صدره وباخذ سكيناً حادة جداً ويضعها على جانب السن ويصرب عليها بحجر ضراً خفيفاً حتى تنفصل الشظية المراد زرعها من السن وتصير بالشكل المطلوب وقد يردون حوامب التواطع بحجر المرد بين كل سبعين فتصير بينهما فرجة زروية

ووجود مثل هذه العادات عند هؤلاء الناس يؤدس توحشهم والحال ان كثيرين منهم حصريون يتعاطون الزراعة نشاطاً ومنازله اكثر انثاقاً ونشاطاً مما يرى في بعض قرى البلاد المتقدمة . وفي حوار زمينز الاعلى وكونغو الاعلى حيب لا اتصالية لهم بالاوروبيين وحدث عندهم صاعه في الماء تدل على حذق شديد

واما اطعمة اهل افريقية فتدل في الغالب على افنج ذوق واخلاق خشنه واطهر مثال لذلك سكان ضفاف النيل الاعلى وكونغو . فالدنة والشلوق امانان معروفتان بكثرة الماشية ولا يذبحون منها شيئاً للاكل بل ياكلون ما يموت منها بمرض او غيره . فدايمهم الصيد فان قتل اديهم لجأوا الى اكل الجردان والصاب والحيات . وامة النخو تفعل افنج من ذلك فلا ياكلون اللحم الا اذا انس ويطلون نقايا الحيوانات التي تترسها الصواري والجوارح ويدخون اللحم اذا كان جافاً ليلين ويسهل هضمه على زعمهم . ويحجون كثيراً بمخويات كروش الفرحتى الدود الذي يتولد فيها واذا مات اسنان او قتل بصرون على جنبته حتى تصير جيفة منهرة فياكلونها . ولذلك قد يدفنون اللحم في التراب الى ان يفسد وقد يحفظون لحم السرمقداً الى ايام الحاجة

هذه العادات المستهجنة الوحشية تدل على شدة اعتقادهم الخرافات وهي
 كثيرة عددهم تضيق دون توصيلها بطول الدفاتر وأكثر حكام الداخلية
 يودون بقاءها في الرعية ليحفظوا بها ميزانية سيادتهم ونفوذ سلطانهم. ومن أفعجها
 عادة أهل دهومي عند تنصيب الحاكم الجديد فإنهم يذبحون له ذبائح بشرية
 لا اعتقادات وحشية. وقبيلة بخلة القاطنة على ضفة كوندو وهو نهر يصب في
 كونغو من الجنوب ومن عاداتهم أن ملكهم الحديد يعمل له وليلة مولده من ريع
 ثور وربع كس ويخذ انسان تسلق معاً. ثم يقطع ساقبه وهو واضع رجله في
 بطن احد الاشقياء. وفي جهات البحيرات لكل قرية تجرة عظيمة تعلق بها حجاج
 القتلى في الحروب ومكوكهم وقد يجد المسافر في الطريق اشجاراً معتلقة بها هياكل
 بشرية بارجلها والروثوس الى الاسفل. وفي اوروا بين ربري وتيناينا تقوم
 حفلة جنازة الملك ناعمال ليس يسمع باقطع منها فاولاً بجول محرى النهر الذي
 يكون في ذلك المكان وبعد ما ينشف المحرى الاول بمحرون فيه اخدوداً
 ويطرحون فيه عدة نساء في قيد الحياة ففي الطرف الواحد من هذا اللحد تكون
 امرأة دانة على يديها وركبتها لتكون مجلساً البيت وتحمل الحنة احدى ارامه
 وتحلس اخرى تحت رجله وتكون النواقي كمراس وغطاء له يدهن في الحياة
 الا الروجة الثانية فانها تقتل قبل ان تدفن. وقد يبلغ عدد نساء المدفونات
 اكثر من مئة ثم ياتون بارعين او خمسين عدداً من عبده ويدبحونهم على قبره
 ليرووا تراه بمذماتهم. وبعد هذا يردون النهر الى مجراه
 واكل لحوم البشر في افريقية عادة قديمة جداً ولا تزال سائدة فيها اكثر
 مما في غيرها من افطار الارض البربرية وقد بحث الباحثون في الاسباب
 الداعية الى ذلك فمسيوها الى امرين الاحتياج الى الاطعمة والاعتقاد بوحدة
 السباح ان الاقطار التي يكثر فيها هذا الافتراس قليلة الخير وافدة الحصب
 ليس فيها من الحيوانات ما يسد العوز وذلك اكثره في الاقاليم الاستوائية.
 وجنوا ان الذين يمارسون الحروب يحجون ان ياكلوا لحوم اعدائهم القتلى

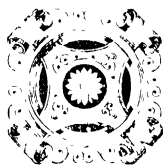
ولاسيما اذا كانوا اطفالاً موصوفين بالشجاعة والبطش لا يعتقدون ان هذه القوى التي كانت فيهم تنتقل الى الاكل مايتلذذون به . حتى انهم يذبحون الاسرى لاكل لحومهم ويفصدون قتل من يقدر على بيعه حرب . والذين يموتون بالامراض في قبائل كثيرة يبيعهم اقاتهم كاصاف النجارة فياكلهم المشترون وقد يتركون الجيف حتى تسد كما ذكرنا آنفاً . وفي الحروب ينصفون على القتلى والجرحى انفضاض السور وياكلون لحومهم ويشربون دمهم بشراهة شديدة . وذكر سنبل وبعده سنابل ان قبيلة على الشاطئ الشمالي العربي من تعاليقا لا يحرثون ارضهم ولا يزرعون حبوباً ولا نقولاً مع ان التربة في غابة الجودة والحصب بل ياكلون الجيف ولحم البشر شيئاً واذ يرفعون ان كل الناس تفعل فعلهم تراهم يخافون ويهربون اذا قدم النجار بلادهم واد اشعروا بان معهم مريضاً مقارب الموت يطلبون ان يشتروه وهذه العادة عالة عند القبائل المحاورة لكونهم الاعلى . وفي بلاد اوريرا راي السباح حول القرى كثيراً من الجاجم مصفوفة صفوفاً مرتبة تدل على ان ذلك المكان كان مكان وليمة فائمة لعم البشر ووجد سنابل صفافاً في قرية واحدة عدده ٨٦ حبيبة وطالما طارده الراراة ليعترسه ورفاته وهم يصيغون اللحم اللحم وقد راوهم غيبة تهبه . ومهم جماعة اعينهم حداً فصاحة النراحة فاشبهوا ان ياكلوهم وطلبوا ذلك الى السباح ولام سنابل قوماً لاهم قصدوا قتله او قتل رفاقه وهم لم يصروهم شيئاً فقالوا لو كنتم في مكانا لما تركتم لحوماً شبيهة كحومكم نفونكم فلم يجد لذلك حواشاً وفي ذات يوم اتته من مائة في الصباح فوجد شبكة على كل جماعة بصها الراراة ليلاً لئلا يتمكنوا من الهرب ويسهل عليهم قتلهم واكلهم

ومن الامم الافريقية المشهورة ماكل الناس امة يقال لها موسوطو مع انهم اصحاب عنول وفنون وفضائل ويستعملون الحديد والنحاس وطالما يعززون القبائل المحاورة لهم فيهبون المواشي ويقتلون الناس وياكلونهم وياخذون الاسرى الى منازلهم ويقتسمونهم وياكلونهم عند الاقتضاء وقد يدخلون اللحم

او يغلوته ويحفظونه مدة وشهد شويفرث باقامته عندهم ان هذه العادة عندهم
كعادة اكل لحم الانسان والفر في البلاد المتقدمة . وانما يوترون لحم الانسان على
لحم الحيوان اثناء على المواشي لينفعوا بمحاصيلها . وفي بلاد غريكلند كهوف كثيرة
ملوئة من حجاج البشر وعظامهم وهناك آثار كثيرة تدل على ولائم بشرية
حافلة كانت تقام فيها

ونجارة العبيد في افريقية اشهر تجارة تحصل منها الارباح الوافرة فلا يكاد
صنع منها يخلو من اسواقها الرائحة والعاء الاستعداد في البلاد المتقدمة لم يبيع
نقاه في واسط افريقية وتعاطي التجارة سرًا . ولما كانت الحرية مطلقة كان
يصدر كل سنة من سواحل افريقية نحو ٢٥ الف عبد

ولما كثر ذلك ما عاد المساكين يعتبرون الحياة بشيء ولا عاد للحرية
عندهم قيمة وصاروا يبيعون انبياءهم واولادهم وراى ليفنستون بعضهم يبيع الولد
من اولاده بما يساوي عشر مارات عندنا . وبعد تردد العرب الى جهات
منيا ما لهذه التجارة كان العمد يباع مارتين وما ذلك الا لكثرة الدواعي التي
لا تجعل لهم قيمة كالذهب والسلب والقتل والحرق ونحو ذلك



الفصل الثامن

مخاطر أفريقية

المجد والنبات والهم العالية ولخدمة العلم الشريف والمحبة والشهامة قد
انصل السياح الى التناح المطبوعة من احوال افريقية محاطرين بالانفس نادلين
مالاً لا يقدر بين الاهوال والمستنات والتهديدات ومقاومة المصاعب المختلفة .
فلا بد ان الجمهور يشكر فصل هؤلاء الاطفال العالمين ويتأسف على من فقد
مهم شهيد المعارف

ومن المعلوم ان رحلات مثل هذه تقتضي محبرة خاصة في الجغرافية
والطبيعات وقوة عقل وحسن تدبير واقدام على الاهوال وهوداً ادبياً ومادياً
وهذه المرايا لا تنفق الا لافراد من عالم الفضل
واذ كان لا يسر لكل من هؤلاء الافراد استصحاب رفقة تقوم بسد
الاحياجات الدفاعية والتعليم من المهالك الشديدة رايها ما لا خسارة ان
كثيرين منهم سافروا نائمين في محاهل الارض اما واحداً واحداً او اثنين
اثنين فالاعتماد ادى شهامة الناصد التنصية لا كثرة وسائله المادية ومن
اشهر هؤلاء المتفحصين احوال اواسط افريقية لينستون وورث ونخينغال
وشوينفرت وكامرون وسرمانسو وسافريان دورانسا وستالي وغيرهم

ولكن لا بد لاي من كان من مادة اولية لا يستعنى عنها في مثل هذه الظروف سواء كان وحده او مع جماعة وهذه المادة هي سيدة المواد ودولات الكون "المال" لان اللوامم التي تنظر على السائح في العربة اكثر بكثير من التي يفتق عليها في وطنه اما لاقتناء ادوات او لاقتناء الراد او لارضاء خواطر اصحاب النفوذ في تلك الاقاليم ونشر الخف والظرف بين الشعوب فكان غي اكثر ارامتكلاً لتنشيط رحالها فنالت قصص المسقى في الاكتشافات الامريكية وفارت بالافتخار في ذلك على غيرها من الامم الاوروبية

ثم ان التجارة والمال لا يبعيان المخاطر ولا يبعانها فند تعرض للسائح اكثر تملكة في اول بلوغه البلاد التي قصدتها قبل ان يقوم باجائه . والمخاطر في افريقية عديدة ومتنوعة . فاول كل شيء بحول دون مرام استنكار اهل البلاد فلا يتيسر له التحول بسهولة لان ابن افريقية لا يعرف من امر الاسفار الا مقصداً واحداً وهو التجارة والسائح الذي لا يتظاهر باسباب التجارة تلقى عليه الطمون ويرجم بالاحداق وطالما تسددت له الطرق بهذا السبب و تناقص الثقات ولاة الامور اليه في تلك البلاد والتاجر ايضاً تعرض له مثل هذه الامور لتخاض التنازل فاذا دخل البلداً بمنعه اهله عن تجارزه الى غيره لئلا تفوتهم فائدة تجارته او بحسروا منها شيئاً . فأدت التجارب الى ان يجنار السائح طريقته في البلاد المخصصة القائمة بها اسباب الرعاية لان اهلها لا يكون فيهم الطمع وشدة الحرص كما في الاماكن النائية الحبرات . ثم تختلف سهولة دخول السائح باختلاف السواحل التي يدخل منها فالداخل من السواحل الشرقية يتيسر له تحال البلاد لكثرة الانهر وارتفاع الارض بحيث لا يكون لمصبات الانهر مستنقعات ولا عندها عدران راكدة . واما من جهة الساحل العربي فالارض مستنقعة ومصبات الانهر كثيرة المستنقعات والعدران تولد الامراض المحموية والوبائية وغيرها

ومن اية جهة اراد السائح الدخول ومنه من المال مبالغ حسية وبقية

واسعة يجب اول كل شيء ان يستأجر جماعة وافرة من اهل البلاد لمل
انتقاله وحرساً للذئب عن نفسه عدد الاقتصاء . واذ يعلم حملة الانتقال باحتياج
السائح اليهم يطعمون في الاحور طعماً فاحشاً وينضي اياماً يساومهم ويخاطبهم اما
اجمالاً او افراداً حتى يتفق معهم على ما يرضيهم . ثم تعرض صعوبة اخرى في تعبير
الاسباب التي ينالونها فقد ياتي عدداً من احد اليوم نفوذاً مثلاً ويطلب عوضها
قطناً وقد ياتي من اخذ ثوباً ويطلب بدله ثوباً معدنياً وهكذا . وقد يلتزم ان
يسقى عليهم اموالاً كثيرة قبل ان يتم له العدد الوافي ويتيسر مسيره في الطرقات
ويجب ان يكون معه من الضائع ما يبيس قماش وماعون ومتاع وادوات ما
ياسب ويكفي كل بلد بدخلة للمفاوضة والهبات وغير ذلك . ففي هذا البلد
مثلاً تروج الثياب الرقراء وفي الآخر الثياب المخططة وفي ذاك المفوشة وفي
غيره يرى ان عشرين دراعماً من السج لا تساوي قطعة من سلك معدني وفي
سواه يفضلون الحديد على اللآلئ وبعضهم يؤثرون الحردة على نفائس
الملابس وبعض الثمائل لا ترى في مقام المسكرات شيئاً من الخف المصبوغة

واللؤلؤ مطلوب اكثر من غيره لكن لا يرصاه الواحد بالشكل واللون
والهيئة التي يحبه بها الآخر فالبعض يظلمون ان يكون مطبوعاً عنوداً والبعض
اساور وهولاء يفضلون الابيض ولا قيمة عندهم للاسواه وغيرهم يختارون الاحمر
وهولاء يرغبون في اللآلئ المستديرة واولئك في المستطيلة وهلم جراً فليتصور
القارئ كم من الصناديق والرزم يجب ان يستصحب السائح وكم من الناس
يستلزم لفل هذه الانتقال اذ لا يحملون على الدواب الاحمال نادراً والرجل
لا يحمل اكثر من عشرين رطلاً عادة وعلى هذا لا يكفي السائح اقل من ٢٠٠
رجل يكونون معه في كل طريق يمر به ومشاربهم مختلفة فلا يسهل عليه ان
يرضيهم

وفصلاً عما تقدم يجب ان يكون معه ذخيرة كافية من راد وخيام ونحو
ذلك فقد يتفق انه يصل الى مكان لا يجد فيه شيئاً من الطعام ولا الصيد وقد

يصل الى محلة لا يبيعونه بها راداً الا بصاعه توافقهم فان اتفق خلوه منها مات هو ورفاقه جوعاً . وفي بلاد السودان يكون الامر اقبح من حنة اختلاف مشاربهم في انواع الصنائع لكن توحيد واسطة يمكن اتحادها لارضائهم واتباع الزاد منهم وذلك اهم يتعاملون بنوع من الصدف يقال له كوري وتريد قيمته كلما تقدمت في الداخلية وهذا الصدف يوتى به من سواحل زنجبار وآسيا ويصل الى دهومي ومنها يتوزع في داخلية البلاد والاكليز يجمعون منه كميات وافرة من سغالا وقيته هناك عشر قيمته في اواسط افريقية ففي السواحل ينطونه قلائد كل قلادة مائة صدفه واما في الداخلية فبعدونه واحدة واحدة وكل ٢٥٠ صدفه تساوي قيمة فريك . والجمل يحمل منها في الداخلية مائة الف صدفه واذا جمع الرجل صنائعه واستوفى لمارته وكان الفصل التادم عليه لا يوافق لدخول تلك البلاد وقد يقيم اياماً مقاسياً العذاب من المحامات رفاقه وقد يضطرونه الى السفر بالنف حيلة فيدهم وصل الشتاء ويناسي من شدة الامطار وترايد المستنعات اموالاً شديدة وقد يهلك هو وكل رفاقه فعليه ان يجتهد في ادارة حمائيه الى ان ياتي الوقت المناسب ولذلك توقفت رحلات كثيرة عدة اشهر لا تستطيع السفر . وكثيراً ما عدل السائح عن الرحيل في السواحل العربية لقلة وجود الخيول بعد ان يسعى في جمعهم مدة سنتين . وقد يتفق ان هؤلاء الحائنين يصلون معه الى داخلية البلاد وينزكونه لاسباب مخالفة وهناك الويل

واعظم سبب لترك رفاقه اياه مداخلة وكلاء التجارة والتجار الذين مصلحةهم في البلاد التي بدخلها فيأتون سرّاً ويعرّون الحائنين او يبدعونهم ويخونونهم من اخطار الطريق ويوسوسون اليهم بكل مكر فيصبح السائح وايس عنده احد فاذا لم يتيسر له جمع غيرهم يضطرون ان يترك حاساً كبيراً من بضائعه ولا يتق ان يودعه احد الا الى لئلا يهبه فليس ثم الا وسيلة واحدة ليكفي شرهم وهو ان يحرق ما لا يقدر على نقله

واحتمالاً يجتاز المسافر مسافة طويلة من الطريق وسراحة وطأنينة تم تعرض
الصعوبات فجأة فتسلب عليه سوايا الاهالي ويطعمون في بصائمه والروءاء
يتمسسون امتعته وبعد ان ياخذوا شيئاً كثيراً من هباته يطعمون اكثر منها
ويستعملون اهمية ما معه فينأمررون عليه ويدسرون على قتله وقتل كل ابيص
معه وينتهون الصاعقة . فيلنزم ان يستصحب رجالاً أولي ناس وشدة يحمونه
عند الاقتضاء وينفقون له الطريق في الثمائل الحماوية ولذلك اتخذ ستالي في
رحلته الثمانية ثلثمائة رجل كلهم بالساق

وليس الناس فقط يعملون دور مرام السباح بل قد يلاقي الصعوبة والشدة
من الاقليم والارض التي يمر فيها فان اختار فصل الامطار في الاماكن
الاستوائية عنيفة جداً . وغياض الاراضي الحصنة الشديدة النمو ذات مخاطر
اشد من مخاطر الصحراء الرملية والنفار الجرداء والعنوبات السمية المحيطة الفائلة
تكون دائماً كامنّة في تلك العياض المنعفة تولد من ثفايا النباتات والحجوبات
وتشرها حرارة الشمس وتغفل الرياح تنمها الى اماكن بعيدة فتقتل من تصبى
والصعوبة ايضاً في اختيار تلك النباتات الكثيفة الملتمة المعرضة في الطرق وفي
اختيار العايات الظالمية الشديدة البرد ثم التعرض بعدها لحرارة النار الشديدة
التي تاتي بامراض قتالة . وقوة الرطوبة هناك ما لا يحظر على النال فاجها تنلف
كل جسم تضر الحديد وتسرع العفونة والفساد في الحطب والخشب وترخي
جاد الحبوب المسلوخ حتى يصير هلامياً وتنزع من الدارود وهو في خوف
الندقية قوة الاسفجار والحصنة تفسد تحت مياه الاضطار الراكدة . فالويل لمن
يدهم فصل المطر وهو في الطريق فقد يستطاع ان يمضي في المياء والمنافع عدة
اسابيع والماء او الوحل الى ركنيه ووسطه اصفاً كما حصل للينستون فدهم
الموت قبل استدراك المرض . وفي تلك الظروف تشتد الحميات وتنتشر الاوشة
ولا تقي ولا تدرو قد تصل الفاولة الى قرية يخاف اهاليها العدوى ويطردونهم
فدري حشهم متورة على طرفهم

وفوق هذه الصربات والمصائب توجد احوال اخرى ليست اقل اذى
فان تلك الاقطار الاستوائية تنفض بحشرات قتالة ينهي منها المسافرين امر
العذابات . فعلى شواطئ تشاد ومكتوريا وتغانيا يكون العوض محيماً كالعيم
المنتشر فيمنع الدبو منها . وفي اماكن اخرى يوجد النمل الابيض الذي لا تدفع
هجماته قوة بشرية ويتلف كل ما يصادفه من طعام ولباس وادوات خيام
ومصانع ونحو ذلك

وفي افريقية الجنوبية ضربان عظيمتان الجراد والدابة المعروفة بالصيصى
والجراد يجرى كل ارض يربها كما يفعل في اقطار السودان وجبال الاطلس .
فقد يصيب المسافر والجو صاف والرياح راكدة فيرى في الافق غيمة كثيفة سوداء
مستديرة شاعلة مسافة عظيمة من الجو فتندم شيئاً فشيئاً ثم يسمع منها صوتاً
كاللعل الخارج من حليته لكن اتدّ كثيراً ثم تقترب فيرى الوقار وريبات من
افرادها تلعو وتسفل في تلك الغيمة المملئة . هذا هو رجل الجراد الهائل الذي
يفرّ امام اصناف من الطيور وفي لا تدعه حتى تلتفه او يتمدد وتحى آثاره . فهو ربه
في بلاد نمسي والارض مكسوة بالحصرة رتفع والارض جرداء كأن لا عهد
للحصرة بها . واداسقط على الارض يكون كسقاط سمكة اربع اقدام وطوله ٧٥
كيلومتراً وعرضه بالمست . وانما سقوطه يكون بركود الرياح فالويل للارض
التي يجل فيها . فتاتي جوارح الطير وكواسر الوحش والحيات المختلفة تلتهم من
تلك الوبلة المخافة والباس ايضاً هناك نملاً سلالاً كثيرة من صغار الجراد
ويذخروها مؤنة ويستمر مرور هذه العيوم الكثيفة ساعات متوالية لا يسمعها
ماء ولا نار وقد تقطع الانهار الكبيرة على حصور معقودة من تحت الطوائف
المتقدمة بعد ان نهلك بالماء ونظفوا على وجهه الى مسافة بعيدة . واذا عرضت
لها النار اطفأها بشدة تراكبها حتى تسد عنها منافذ الهواء

فاذا طلعت الشمس وجميت اجتمعها قامت كلها ففجعت الشمس واعادت
الهار ايلاً وحفيف اجتمعها بصم الآذان فتنتقل الى شعبة اخرى وتعمل ما فعلت

بالاولى اى نصير اخصيها احديها

واما الذمانة المسماة صيصى فتوجد على الطريق بين بلاد الراس وحوبي
زمير فتكون هذه الذمانة الضريرة الاليمة للنافلة . والانتقال هناك تجل على
الجمال وفي عجالات ضخمة يستخدمها الانكليز يصعون فيها الراس والصانع
والصيد ويلبونها محلود حتى لا بدخل العجلة شي وبجر الواحدة نحو ثلاثين تورا
ويحسب العجلات في غالب الاحوال رجال على الخيل فالذمانة المذكورة
لا تعرض للانسان لكنها تودي الخيل والنر والابل فتاتي البهيمة وليس لها طين
وتنقص عليها وتشتت بها بحرطومها الفماد فتحرق الجلد وتنقص الدم . فيجئنا
الحويان بامرهم ويدور ويطنر ويتبرع وينب من مكان الى آخر وهو يتلوى
ويتنقص ثم يتلشى ويسقط وقد سرى السم في بدنه وبعد هيمته يموت

ووجود هذه الذمانة على محاري المياه للوقاية من اديتها لا تنشي النافلة
قرب الانهر ولا تورّد الحيوانات للشرب الا بعد العباب لانها حينئذ تكون
قد ماتت وكنت اداها . وتكثر في بعض النواحي حتى يجتاح الناس ان يتحولوا
عن الطريق الى مسافة بعيدة جداً ويدورون من غير جهة حتى رجعوا الى
طريقهم

واذا فاز المسافر بالحاجة من كل هذه الاخطار فعليه ان ينتظر حضراً
آخر وهو ررض عضال دوري يتأتى عن كثرة مشقات الطريق والخوف .
الشديدة وتعبيرات الوصول وتقلبات احوال الجوى واختلاف الاراضي ونحو
ذلك . فيرجع الى بلاده وقد امل الظفر واستقبل الراحة في الطريق احبباً
يصيبه هذا المرض وفي راحته يلقى شفاءه . وقل من يجامى الاوروبيين يرجوع
سليم ويجامى من هذه الاخطار نجاة تامة

فهذا كله حقا بالعلم ونشر المعارف الحديثة بين اهل المعارف فليعتبر ألو
الصائر

القسم الثاني

رحلات مفصلة

الباب الأول

رحلة روتني اريكور الفرنسي

الفصل الأول

ناحرى - ملاد عادل - صالح ملك - توى • مكتة توى

في ٢٢ نساط سنة ١٨٤٩ أرح روتني من النافق الى السريس ليدخل
البحر الاحمر وبلغ الولايات الجنوبية من ملاد الحمشة ومن هناك يذهب تحت
حماية احد دولة الملاد الى مجاهل افريقية الداخلية . فركب البحر من السويس
الى جدة ومنها الى محاوها على ساحل ملاد العرب . ومن محاوها الى ناخرى
وهي على الساحل الشرقي من افريقية . هذه هي الطريق التي اختارها - في ثلاثة
اشهر وكان وصوله الى ناخرى في ٢ حزيران وهي مركز استعداده للسفر
الداخلي

وناخرى قرية صغيرة في ملاد اكثرها قصر قاحل ساحلها رملي ابيض

قائمة عليها اكواخ القرية الواحد وراء الآخر . وفي وسط البلاد الجبال الشاخنة الصخرية عليها الآثار البركانية ممتدة من الجنوب الى الشمال وليس على سفوحها شيء اخضر . والبلاد الاحمال خالية من الررع والشجر الاماندر
قال روتى وهذا بحر من السائح ويضعف عمره كانه يرى من مظر هذه البلاد الكئيبة طليعة الاقطار العارم على دخولها ووائل الاخطار المزمعة ان تتراكم عليه في الداخلية

وأدخل روتى على شيخ هذه القرية واطلعه على قصده فالتزم ان ينهم فيها عدة اسابيع ووصفها وصفاً مدققاً . فقال عدد اكواخها نحو ٢٠٠ شكلها اسطوانى قائمة على اوتاد معروسة في الرمل ومعضاة باعصان يابسة . واهلها مسلمون يتعاطون التجارة بالمناياصة بين جنوب الحسنة وبلاد العرب ويصنعون القوافل ولهم مهارة في الكسب لنعودهم من الصعر ركوب الاخطار ومواصلة التجارة . وطعامهم الدرة واللبن ويستعملون السعوط عوض الشع ويلبسون جبة قطبية تحمها رداء يشدونه ، مبطنة بعافون بها سكبياً او حجرأ و يرسلون شعرهم ويصعرونه وشعر النساء وافر جداً طويل يتجاوز الكتف ويلبس دراعات من النطن . واصل هؤلاء النوم من تيلة ينال لهم الدماقة مواظهم بلاد عادل الى حصيص حال شوى وهم عشائر واسباط مختلفة

ولما خرج روتى من تاجررى استصعب واحداً من الدماقة واحداً من اهل القرية للخط والاهتداء واخذ في طريق تنوى ولم يصادف شيئاً يستوقف النظر لان الحر والغولة ساندان في ساحل بلاد عادل الجبلى البركاني الاصل . والجبال كلها معتدلة الارتفاع متساوية القم ليس فيها ما يختلف به المطر وتنبص الشمس نهارا حرارتها على تلك الهصاب والمافوز فتحردها من كل عرق اخضر والمسافر لا يطبق شدة توهجها اذا كان غير متعود ركوب متونها

وكان شروع روتى في هذا السفر في اواخر فصل الشتاء فانفق له مصادفة زوايع وامطار شديدة فتوقف عن المسير فقال في وصف ذلك « تحدث

« كل يوم زوايح شديدة في اول الليل وتستمر ساعتين فلا يستطيع المسافر ان
 « يتقي المطر فمكنت اخلع ثيابي والها واسترها جهدي حتى لا تنال والجأ الى
 « بطون الصخور الشائخة وابيت فيها طول الليل على حلد ثم اخذته من ناحري
 « وانعطى بحلد آخر لا يلبث ان يتسل لوصول الامطار اليّ بعصف الرياح
 « وحرى السيول حولي بعصف التي من ترسات الهوان . فاننى ساعة او ساعتين
 « متعدياً بهذا الحال ثم تنفتح العيوم ويصفو الجو وتبلى الكواكب بهائها في القبة
 « الرقفاً وتكون رودة الليل في شدتها مقابلة لحرارة النهار الانوية »

وبعد ان تجاور روتى قرية الكسيتا ترى بحيرة ملحة كبيرة محيطها نحو ٨٠
 كيلو متراً بكثر تجمعاتها ويزداد يوماً حتى كان الملح عليها طينة تمشي عليها
 الجمال الى مسافة بعيدة من الشاطئ واهل البلاد ياخذون كميات وافرة من
 هذا الملح ويحملونه الى الجهات وهو اهم اصناف تجارتهم

وبعد ان احترار بلاد عادل وصل الى قرية تيانو وهي اول حدود مملكة
 شوى وقد انتقل من ارض جرداء قاحلة الى اودية الحشنة المصرة الشجر الكثر
 الحص . قال اول ما قابلت القرية في راس هضبة حصراء تحف بها الاشجار
 رايت المنارل مجتمعة بنظام لا تظهر الا سطوحها المخروطية من خلال الاشجار
 المتنعة ووراء هذه الهضبة سلسلة جبال معترصة من الجنوب الى الشمال
 مولقة من هضاب ترتفع مندرجة الى مسافة بعيدة وكلها مكسوة بالاشجار تنبع
 الانطار وترتاح اليها الدفوس

والاراضي التي دخلها آهلة عامرة كثيرة الررع والساتين سابعة الطلال حسنة
 الربيع قد ساعدت بها يد الانسان يد الطبيعة حتى فاصت خيراتها وعم سائنها
 فهناك الاشجار المثمرة والرروع المختلفة بين حطة واطربل ودره وحمص وفول
 وكنان وقطن وقصب سكر بلع كبراً عجيباً . وعلى جوانب الطرقات العوصح
 والعليق المشتمك وبين ذلك الياسمين والورد وغيرها من الازهار ومن الاشجار
 اللطيفة انواع السنط وتجرة النفل المشرفة الاغصان كأنها مخروط مقلب

نخل ثمرًا احمر واصفر يكون عما قيد كحب اللؤلؤ واما الطيور الكثيرة
الاصناف الزاهية الالوان فهي ما لا يدخل تحت المحصر نظرت الاسماع باختلاف
الكانها وتسرت الانصار بها. اللواتيها

ولما دخل روتى مملكة شوى كان الملك فيها رحلاً يقال له صالح من سلالة
ملوك برعمون انهم من سل سليمان الحكيم . بكرم العريب يحب الداخل مع
الاجانب ويجهد في نشر التمدن في بلاده . وكان وقوراً مهيباً في عيون رعيته
واعقل ملك تولى سريراً في ارض الحشمة . قال روتى ان عمره كان ٤٥ سنة
وهو معتدل التواء حسن الهيئة لطيف الطبع دهمت احدى عينيه على اثر رمد
حاد وتشعره اسود كثيف مصهور نظام بلس حمة من قطن بضاء مطارة
مخطوط حمر.

وكان عند وصول روتى مقبلاً في اعولولو حاصرتو الجديدة فارسل اليه
رسولاً بدعوه اليه في الحال فدخل عليه في ٤ تشرين الاول محموقاً بالخواص
والحشم فوحده حالساً على سرير وحواله تلتائة رجل بايديهم المشاعل قائمين
بوقار ونظام حسن . فسأل روتى عن مقاصده من هذه السباحة واستنص
الحمر عن النور والصناعة في اوروبا ثم صرفه وقد رآه مصنعاً من النعب
قال روتى دخلت الدار يتفدني ثمانية رجال بالمشاعل فادخلوني بيتاً
مسيحاً يشبه البيت الذي فيه الملك ارضه مفروشة بالعشب العص وفي حדרه
معلقة تروس مصبوعة من حلد ورس الهر ومربية بالقصة قطر الواحد ٢
اقدام وفي وسط البيت مائدة مصبوعة من اعصان الخلاف ارتفاعها قدمان
عليها خمسة صحون فيها اللوان من اللحم واناوان فيها غسل من احوذ ما يكون
وسلة فيها موز تنتشر منه رائحة ذكية واناوان فيها الحلاب اي ماء الغسل
ووعاء فيه الحنز ودعيت الى الاكل فجلست واكملت ما تسر فوجدت نابل
الطعام كثيراً جداً حتى احترق حلقى من حرارة الانازير فاكثرت من الغسل
والمور . ثم رايت في حاسب البيت كانوا من حديد مطروق فيه البحر يستعمل

الطبخ والاستدفاء

وكان الرجال الثمانية المشاعلية واقفين حول المائدة والمשלعل يصع من قطعة سمج قطي معوسة بذوب الشع ولموفة على نفسها حتى نصير في عاظم البد فيكون نورها عظيماً جداً فكان البيت مائتها بالانوار ولما ان العصة التي على الثروس فشعرت حينئذ بانسساط نفس واستراح صدر وتحدد عرم وهمة نسبت بها المشقة التي قصبتها واستنسمات المصاعب التي صادفها في رحلتي هذه لان راحة ساعه في مثل هذه الظروف وهذه الملاد الطبية تسي الانسان كل هم وتعب وتهون عليه ركوب الاخطار

وتالي يوم دعا الملك روثي وجلس له جلسة طويلة سأل فيها بتفصيل عن صاغة الاسلحة والمارود والنياب المستعملة في اوروا ونظام حكومة فرنسا ونحو ذلك. وقدم له روثي بصع صادق ومطمحة البارود فانتفع جداً وانعم عليه بمجمل كريمة وجماعة لخدمته وما عاد يفارقه ساعة

وبعد ايام بيما كان العيلة يستعملون بالحطب اللازم للمطخة البارود مخرج في صمعة الملك التحويل في انحاء المملكة فرأى له قوة عسكرية عظيمة وكان يقوم بتدبير الامور احسن قيام وكل يوم مساء يصع وليمة حافلة (ذلك في الايام التي كان بها ينأهب للرحيل) فتوضع الاطعمة على مائدتين كبيرتين من اغصان الخلاف توضعان في بيت كبير وتعمل عليها سعة اوعية صمعة مملوءة باللوان من اللحم . ومعها كميات كبيرة من خبز الملة بعضه من دقيق الحنطة وبعضه من دقيق حب الاطريل ترصف بين النضاع كالاساطين وفي بعض النضاع قطع كبيرة من لحم الفر معها مرق فاتر يتبل بدقيق الفلفل وفي بعضها سرائح او يصع من لحم العنم معلنة بعضها عدة سرائح في عطله واحدة ودقيق الفلفل مذكور عليها كلها بكثرة وكل هذه اللحوم غير نامة الصع وقد تكون عوضاً عنها نضع كبيرة من لحم الفر بيئة وهم يستطبون اللحم التي بدرون عليه دقيق الفلفل فقط . ولكثرة اكلهم هذا اللحم تتولد فيهم الدودة الوحيدة المشهورة عندهم

ويدعونها بأكل نت يعرف بالشاو وهو الحشيشة الحشيشة استخباها من هناك
روتى فكان لها فعل جليل وشهرة لا تنكر في بلادنا. والشراب الفاخر عندهم
هو الحلاب ليس ماء الزبيب كما يسمع الآن عندنا بل ماء العسل الجيد يسكبونه
على مائدة الملك في وافييل زجاجة يسمونها سريلة

ويجلس المدعوون على العشب المروشة به الأرض وحواري الملك يحضرون
الاطعمة فيتناولها الرجال ويندمون على المائدة. وأما الملك فلا يواكل المدعوين
لسوء منزلته بل يجلس على سريره وحوله الصباط ويعقد مجلس لهو وطرب
ويسرّ بخلاعة طرفائه والمطربون يشتغلون بالآلاتهم وهي الطنبور والشانة أو
نحوها فتخرج الحانهم بحلّة عطيفة واختلاط فيج

وفي ٢٢ تشرين الأول مشى الملك في مقدمة عسكره وقد أظهر من
الاهمة والتخفة ما لا يريد عليه ففتدّموا إلى حبال مجيرة ماريّين سلاذ جالّة .
وفي ٢٠ منه وصلوا إلى الليل الأزرق فادّش روتى عندما رآه لكنّرة ما
بذكر عنه من الاحار الموترّة

وأما جالّة من اجمل ام افريقية حسان السية طوال القامة حبيهم عال
عريض انهم مائل فيهم لطيف لونهم نحاسي شعرهم مصفور صفائر صغيرة
مسترسلة حول الراس هيئتهم تدل على الشهامة واللفظ يتعودون ركوب
الحيل منذ حداثتهم وحمل الرمح والدرس فيهم فرسان حاذقون اشدّ على
المشتات اصحاب تسالة واقدام في الحروب ويتعاطون الزراعة بهمة وبشاط
ولباقة وعلمهم زعيم دواس وتدير ولكنّرتهم وحسن تدابيرهم لا تقوم في وحهم
امة افريقية ولا اكثر ولسمائهم حمال كساء عادل ولباسن كازياهم تقريباً
وأما مدّهم فليس كالوثنيين ولا الموحدّين تماماً فيعترفون بانه واحد لكن
لا يعبدونه عبادة طاهرة والحرافات عندهم كثيرة وقد اقتبسوا من النصارى
جيرانهم بعض عوائد منها احترام يوم الاحد فيجتمعون فيه ليلوا الى الله ان
يمنّهم مواسم جيدة ويجمعون صماغ من الزروع وينأطونها وباخذون قصبة

طولة ذراع بمسك الرجل باحد طرفيه والمرأة بالآخر ويرقص كلاهما دائرين
حول شجرة خاصة وهم يقولون اللهم اجعل زرعنا خصباً واحفظنا واحفظ اوراقنا
ومواشينا . وهلم حراً . ونارة يرفعون الفضيان فوق رؤوسهم وطوراً يخفضونها
ثم يستعدون ويهيمون ويغنون ويكررون الصلاة المذكورة الى مصي نصف
ساعة ثم يقدمون ذبائح من الغنم

واذا ارادوا طلب معونة الله في الحرب والصلاة قلما تتغير واما الرقص
فيختلف فنصطف النساء حلقة حول الشجرة المقدسة عندهم ولا تمسك الواحدة
يد الاخرى ولا شيئاً آخر بينهما ثم باقي الرجال على الجبل يسلاحهم ويترجلون
وياخذون الرماح والفرس ويصطفون حلقة وراء النساء فتبدي واحدة
بالرقص بان تصم رجلها وتضع يديها على حنفيها وتواصل الرقص وتبداً على
رجليها بحدة وخفة ويعمل فعلها الرجل الذي يكون خلفها ثم كل واحد من
الجماعة يفعلون ذلك مساوية واخيراً باخذ بعضهم بايدي البعض ويرقصون دوراً
نهائياً دائرين حول الشجرة وهم يستعيتون معونة الله وبعد ذلك يدبحون
توراً وبالكوبة ويركعون ويمتنون الى الحرب راساً

وفي ٢ تشرين الثاني وقف الركب عند دير يقال له روى ليمانوس وفيه
ضريح لراهب مشهور عندهم يحترمون ويروونه وموقع الدير جميل جداً
تجري عنده ساقية يقال ان لها احوالاً عجيبة وبعد تصب ساعات من الراحة
اتم الملك سيره الى انغولولو فدخل دخلة حليلة وفي ١٨ منه سافر وتحتوي روسي
الى انكور العاصمة القديمة لمملكة توي . وهي واقعة في السند الشرقي من سلسلة
جبال بركانية الاصل وتشتمل على عدة بيوت متفرقة بعضها عن بعض وحول
كل بيت حبيبة مسيئة سياج حي من العوسج ونحوه وسطوح البيوت على شكل
محروطي ترتفع بين الاشجار العضة تدرج سلمي يتبع المنظر . وعدد سكانها كان
نحو عشرة الاف

وممازل الملك قائمة على آفة محروطة تشرف على الجبل وحولها خنايل

نصرة مرتبة ترتيباً حسناً ومن رأس الآكمة يشرف الناظر على حرتي تحت القرية
اشجاراً أرز وشربين مرتفعة في السحاب ارتفاعاً عظيماً وهناك اصاف الطيور
المعددة بكثرة عجيبة تحيي بها تلك النعمة ويلقي معها الانسان في حر النهار ظلاً
ساعاً ورطوبة تنعش القلب

ومن جهة الشرق يمتد النظر الى مسافة نحو ١٢ كيلومتراً على بلاد متوجة
السطح عجيبة الحصب لا يقع النظر فيها الا على الحصرة الصغيرة المدحجة بالوان
قوس السحاب

ولما راق لروثي المنام في انكور احد بناهب لعل السكر لانه كان قد
وعد الملك ذلك فامر الملك باستحضار كل ما يطلعه من الادوات
قال فطالمت جماعة من الخرافين وسألته ان يصنعوا لي عشرين قالاً
وفي ٢ منه اخبرني الملك انه ارسل جماعة ينتقلون الي عود من قصب السكر
وكان مرحاً جداً ان السكر سبضع في بلاده . فسألته ان يحضر لي خمسين
شاة لا استخدمهم في العمل حين وصول عياد النصب فقال انه يحب هو نفسه
ان يشتعل ايضاً وينف على كل حركة اعينها في انشاء الشعل وان يكون العمل
في احد يومه

ثم اتى بالنصب فكان احود نوع رابته في مصر وغيرها لم ار اعظم ولا
اعظم منه ولا اكثر ماء ولا احلى طمأ فامرت بسلخ ليطه (اي تشره) وان يقطع
قطعا صغيرة ويهرس في هواوين من حسب ثم يوضع الحاصل في قطعة كبيرة
من الحام ويعصر ثم اشعلت باعلاء العصير وصنينة بلحمة من صوف ثم صعدت
ماء حتى صار في الدرجة المناسبة من التخمير وسكنته في الثواب حتى يتلور.
وهذه العمليات اقتضت يومين وكان الملك يشتعل معاً بيده وكثير من خواصه
اشتعلوا ايضاً . وبعد ايام اخرجت السكر من قواله وقدمه الى الملك فظفر
طرباً غريباً ونجيب عجباً شديداً من صباغي

وعمل روثي الملك غير ذلك من الاعمال النافعة في الصناعة وغيرها

حتى الح على ان يبقى في ملكه وانه يولي احدى الولايات . فاني واقام عنده
اصعة اشهر شهد في اثنائها صيد الفروود وحرب الخمسة والمجالة ثم رجع الى اوربا
عن طريق تاجرى وزيلع

واذ كانت هذه الرحلة قصيرة غير مستوفية الاخبار اقتضى ان يرسل
رحلة اخرى فيها بعض التفاصيل كما سياتي في الفصل الثاني من هذا الباب
وعند رجوعه اصحبه الملك صالح رسالة الى الملك لويس فيليب هذه
ترجمتها عن الاصل الفرنسي

من النجاشي صالح ملك شوى الى لويس فيليب ملك فرنسا
اكتب اليكم كتابي هذا بعد ان سمعت روشى يدكر عظمتكم فسار اليكم
قلي طالباً بصدافتكم ومن العادة ان الهدايا بين الاصحاب المتعاضدين اول وسائل
المواصلة ولذلك ارسل اليكم بعض اشياء من محاصيل ملادي وهي ترس وسيف
وخاتم قصة واسوار حربي وخنجر وجامد و اسود وحل لموة ورمضان وقرس
وكتابان اسم احدهما سنكسار والاخر فتح النجاشي واست احسب هذه الاشياء
لائقة بعظمتكم ولكنها اشياء اثرية للتعرج

لا اقدر ان امدلكم الوداد الذي يفصل من النظر والكلام فاكثري ان
اوادكم بالكتابة لاني لا استطيع ان اراكم الا بالحبر والورق ولا اكلمكم الا باللسان
روشى فقد فوضت اليه ان يشافهمكم بافكاره وارجو ان تسمعوا بعوده الي وان
تقولوا له عند رجوعه ماذا نجحون ان ارسل لكم من ملادي ما لا يوجد في بلادكم
فاني سانا در حالاً الى مصلحتكم واعيد اليكم روشى بالسلامة

وركة رسالاتكم ومخلصا الان تكون معكم امين النجاشي صالح

الفصل الثاني

رجوع روتى الى مملكة شوى

لما دخل روتى بلادته لقيه الملك لويس ابنه حبيلاً واحتفلت قدومه
جمعية العلوم وهناك سلامته وكان الملك صالح قد ابح عليه بالعود واعداً اياه
احسن المواعيد . فاعتز بهل هذه الاسباب واطعته نفسه بان يرحل رحلة ثانية
يكتسب بها شهرة وعظمة اكثر مما حصل عليه

فخرج من مرسيليا في اول كانون الثاني سنة ١٨٤٢ اوبلع الاسكدرية في ١٥
منه والقاهرة في ٤ شباط ومضى منها الى القصر عن طريق قنا

وركب البحر الاحمر الى جدة ثم الى محام ذهب محراً الى تاجرى وكان
الانكليز في تلك الحوادث متددين على السابلة الاحدية فاضطر ان يكس
راحقاً في طريقه الى محام فتار على سفينته بوء شديد قال في وصيه ما ياتي

حيما بلغا منتصف الطريق بين تاجرى ومصبق باب المندب عصفت
رياح شديدة وحدث بوء لم اعهد له نظيراً في سابق حياتي واحدت الامواج
تتقاذف سفينتنا الحسيسة والبيارات نفخ امامها هاوية بعد هاوية وترفعها نارة
الى علو عظيم ثم تهبط وقد طنا ان الله اتلعنا واشتدت الرعود وسقطت
صاعقة على مفرقة مما فشتت البحر كحبة من نار وظهر على انرها لهيب ازرق
واخضر وانتشرت في الجو رائحة كريهة كدنا نختنق تنفسها

ثم اشتد عصف التيارات وعصف الرياح وجرت من السفينة اشياء ثقيمة
وتفرقت الفلوع وغرق احد الدافعة . وصار البحرية يصيحون ويستعيتون وقد
اذهلهم الحال ووقفوا حيارى من شدة الهول . واما انا والرئيس فبقينا متخلفين
منصرين وجعلنا نضرب البحرية حتى ينتهيها الى اعالمهم وبحرحوا من خمولهم . ثم
تمكنا من اصلاح الفلوع وقال لي الرئيس ان الصواب لو خاطرنا بالسفوس
والاموال ان نتقدم الى ما بين الصخور على ساحل افريقية ولما صار النهار
قريب الاصرام راينا صخوراً ضخمة كانت السفينة تدومها بسرعة فدمم الرئيس
على ما فعل ولم يعد نستطيع العود فراينا الخطر جسيماً واصابنا الشدة كما راينا
الموت ناعيننا غير ان الياس احببنا المهمة وحدد نشاط البحرية فانوا يتناكل
قوية ورنطوها بحمال متينة مربوطة بالسفينة واحد التناكل ثلثة من اسل
البحرية ووقفوا على المقدم فلما قررت السفينة من الصخر الاول انقوا انفسهم في
الحر وتقدموا الى الصخر وهم يقاومون عصف الامواج الراكزة فملعوا الصخر وعلنوا
به التناكل تعلقاً شديداً فوقفت السفينة وحصلت في الامان ولولذلك لتخطت
بالصخور القريبة الوصول اليها (يقال ان بحرية البحر الاحمر من العرب
مشهورون منذ القدم باقتحام احوال البحر والنصر في شدائده)

وتالي يوم ركذ البحر وبعد يومين ملعوا محاصطاً روتى ان يمكث فيها
مدة طويلة حتى انقضى له حادث استطاع بواسطته ان يدخل بلاد الحبشة في
وقت اقرب ما كان يرحو . فان احد اهل امانا وهي قرية محاورة لناحري
كان مصاناً بفرجة تعرف بفرجة الياس وكان قد ابلغه ان روتى طبيب وشي
جماعة من اصحابه الفرجة . فاتي اليه وطالب ان يشفيه

وهذه الفرجة على ما ذكر الطبيب بتي الدرسوي عبارة عن آفة عنصرية
تصيب السودان والعرب ونحوهم ولا تصيب الاوروبيين وذلك على ريف
البحر الاحمر من حد عدن الى يمسع . تتبدى ببترة صغيرة تحدث من خدش
او حرج وعالماً في الساق وبعد ثلثة ايام تلتهم وتورم وتكون في وسطها نقطة

ظاهرة تم تحدث دائرة النهاية حول الانتهاب الاول ويكون في الوسط غور قابل . تم نظف الفرحة و يصبر مكانها احمر وبعد خمسة او ستة ايام تعظم حتى تصير كراحة اليد ويحدث معها غور بين فصيب العصلات وترتفع حافتها وتنقلب فيشعر المصاب بالآلام شديدة ولا يستقر من شدة الوجع ويتسوس العظم ويكشف ويخرج منه شظايا وينتهي الحال بموت العليل

ووعده روتى العليل الله بعالمه على ان يسرله في قرينه مريلاً يامن به الى ان ورد عليه جواب الرسائل التي ارسلها الى الملك صالح قبل ان يارح ناحري املاً ان يسهل وصوله اليه . فاحاطه الرجل الى ما طلب وبعد ان سني وفي موعد ١٦ ابول دخل روتى امانو وشاك وصلة كتابان احدهما من الملك صالح والآخر من الملكة بذكران فيها تسهيل السبيل لوصول الى الاطمان وتوددان اليه كثيراً ورسالة اخرى باسم والي ناحري فيه ائتم الوعيد اذا لم يلع روتى المرام من اختيار الملاد او اذا مس ضرر

فهذه التسهيلات تسر اروتى الخروج من امانو في ٢٥ ابول بعد ان اجتهد والد العليل الذي تنادى ان يتيه صبيها مكرماً عمده وارسل معه جماله تحمل اثنتا عشرة لكة ماجرة واحدة . والطريق التي سلكها هذه المرة في بلاد عادل نفس التي سلكها اولاً لتربياً فانه مرَّها بالخبرة واسهـى الى ديبالي وهي من اول الترى في حدود بلاد شوى

واحرر مع ذلك انه في اثناء الطريق حدثت حادثه تستحق الذكر وهي ان الماحور هري الانكليزي كان معه جماعة لصد بلاد شوى قبل وادياً بنال له وادي حمتنا ولم يجز على سبه لتوقي هجمة القصوص لبلاداً وكان قد ربط الخيل في وسط الوادي واقام حرسه الاوروبي في حوة السبع الشمالي والضايط في حوة الحصبض الجنوبي فصت عليهم اول ليلة لم يصادوا شيئاً وامايء الليلة الثانية قبل نصف الليل ساعة عصمت رجع شديدة ومارت في الوادي سحائب من الغبار ثم سقط قليل من المطر قطرات كباراً وفي وقت قصير

ركدت الريح وصفا الجوّ وطلع القمر . وفي الساعة الثامنة بعد نصف الليل
سبعوا صراحاً مرعجاً علّوا أنّه صراح مستعيت لهف هبّ الساس واخذوا
منادقهم ومشى هري مع جماعة من حموده الى مكان الصوت فوجدوا رحلين
يتشيطان ، دمهما وبجاسها رجل يرتو علي من التبع مبقور الطن مدلق
الامعاء

وكانوا قد راوا عند سماع الصوت تسجين راكضين في بطن الوادي واخذوا
بين شعاب الحبل فاراد الدناقلة اصحاب هري ان يلاحقوها فلم يهتدوا الى
مخباها في تلك الكهوف وشقوق الصخور

وطر الجماعة ان هذا العمل لم يكن على سبيل السرقة لكن على سبيل الانتصار
بالتنيل لان من عادة اهل عادل ان الذي ينزل رجلاً ينال فخراً ومجداً في
قومه ويعدّ من الانتال ويكون له حق ان يعلن شعوره المدهور بالتخم ريشة
نعام بيضاء وان يجعل في زبد اسواراً من نحاس وان يربى سلاحه شيء من
المضة . فهذه الامتيازات الناخرة عندهم هي التي سهلت لذيبيك اللطيف ارتكاب
هذه الحماية عمداً

وذكر حادثة اخرى تسلمت الانتصار ايضاً لما فيها من التأثير قال
كان من حملة النساء الشائعات للناقلة فبأ اسمها نفيسة آتية مع احبها الى ملاد
توّى لتتزوج رجل من الدناقلة كان قد حظها . ومن العادة عند اهل
عادل ان يتبعوا ساءهم شيء من الحرية لكن يرضون عليهم القيام بالاعمال
الشاقة وكان احو نفيسة قد وكل احنة بقيادة بعيرين من اصعب حماله
فعمات بها نعماً شديداً حتى رقى لها قلبي وكنت اناذر لمساعدتها في اكثر
الاقوات . ففي ذات يوم كنت في موحرة النوم حيث كانت نفيسة قد دخلت وادياً
صعب المسلك حذاً في الطريق بين عمر علوف وكبلالون فسقط احد
البعيرين عياءً والنبت سدّني وتندمت فانهضت معها وثاني يوم حدث له ما
ذكر فاردت ان اعيمها ايضاً فظرت الي نظرة العصبوب وقالت لا تدن فاست

عيون (اي تصيب بالعين) وقد اصبحت بعيري فما باليت وتقدمت فانهمصت
 الجمل فنالت حين تقدمت «يَهْ يَهْ دَبَّو دَبَّو الهرنجي» اي عجباً ما اوقع هذا
 الهرنجي . وهو الذي يمنع بعيري من المسير . فاخذت احاول اقتباعها ان هذا
 الاعنناد حرافة لا معنى فيها ولم اقدر على ذلك الا بعد ايام واخيراً عرفت ان
 قصدي تخفيف نعمها لا زيادته فنالت اري ان لك سلطاناً حتى على الحيوانات
 ادلست محيماً كما يعتقد اهل بلادنا . فشرحت لها اطل الحرافات وصدق الاسايتة
 فاست بي من ذلك الوقت فتقدمت لها شيئاً من الحرز فشرحت لذلك
 واحبرت رفيفاتها فحسدها . واتخذتني حبيداً صديقاً

وبعد ان احتزنا عواش رايت البعير قد سبط لا يستطيع هرواً اشد
 الاعياء فانيت حسب العادة لانه قد دع هذا العباء فساصل اخيراً او
 بقصي علي في الثغر فصرت اسلمها والطف مصيبتها فنالت اراك رجلاً صاحب
 قدرة واطف وباحذا لو كنت تزوجني فبصير عاتلة واحدة واحي شعاع منلك
 فلا يندر احد علينا فصعكت في سبي من هذا العرض العريب وقت ما
 احسن ما اكون زوجاً لذات الجمال الاسود . ثم قلت لها لا صر بها عن معاورتي
 سلي احاك هل يرتضي . ن تركي خطيبك . وفي بني انه لا يسمع لان هذه
 العادة عندهم ان لا يعطي امرأة بعير خطيبها فكان كذلك وحرمت نفسه
 وناسبت كثيراً وقالت عندما افترقا اني سأنروح نعم لكن تمنحني اني لا انساك
 مدي حياتي

ولما دخل روتى بلاد سوي كان الملك صالح في اعدوللا يتنظره
 بفروع صبر فاسرع ودخل عليه فالتفاه شوق شديد وكان لابساً حلة
 الرسمية وجالساً على سرير معلى بمحفل قرعزي فدبده الى روتى باشاً فاعينته
 غير مبال بعادة البلاد فصار يسأله عن سيرته وعن الهدية التي اتاه بها ثم راي
 انه محتاج الى الراحة فاذن له بالانصراف ليأكل وييام
 وتاني يوم جلس له جلسة طويلة وسأله ايضاً اسئلة كثيرة فاخبره

روتى بكل ما اراد فعقد مجلساً حاولاً ثالث يوم اجتمع فيه الخواص لينقدم له
روتى الخدايا الميمنة التي اناه بها من فرنسا

قال وكنت قد احصرت هذه التحف ورتبتها على نظام احسب انه يدهش
النظار باظهار تبيء وراء شيء فاندأت بالسلاح الضخم واول ما اظهرت دئة
سدقية تم خمسين طبخة وتماي قرابينات ومئة عذارة وخمسين سيقاً للفرسان
وخمسين المشاة . تم قدمت شقناً من الخوخ الاحمر وطباس من صوف وشققاً
من الحرير ملونة وممنوشة . وقدمت الملك خاصة لاله موع الصيد سدقية مزدوجة
كثيرة الثمن مربية سنوتس ذهبية ارسلها اليه الملك لويس فيليب . ثم ارية كثيراً
من الخود والدروع المختلفة وهي تلعب كالقصة مجالاً امرني ان احربها عليه
فانتحج جداً بمطرها . وهم لا يعرفونها هناك

ثم احصرت مدفعين وقدمتها له وكان عدده مدفعا قدمها ساننا جماعة
من الانكليز ولم يكن يستعمل المدافع في الحرب لكن كان يستعمل وشعر باصواتها
في الاعياد والاحتمالات الخاصة فسألني ان اطلق المدفعين ليرى الفرق بين
صوتها وصوت اللذين عدده فقلت له نترك هذا العمل الى وقت آخر أكثر
مناسبة . تم الهية عن ذلك باشياء اخرى فامرت باحصار اربعة صناديق
كانت في ماري فلما رآها حركته رعبه شديداً حتى يعلم ما فيها فاحدت
افتحتها واحداً فواحداً واظهر له منها العرائب

فاخرجت اولاً آلة موسيقية ذات صدوق واساطير وراير تدبرها
فتمسرت ثلاثين نغمة فلما رآها تعجب واراد ان يعرف ما هي فادخلت اسطوانة في
الصدوق فندم وصار يفرس لينف على سرها وهو لا يستقر من قلة صبره
وانا اركبها على منبى الاحكام فلما احكمت التركيب سألته ان يصعق هو وسائر
من في المجلس ثم ادرت الدولاب فتعركت الآلة ودارت الاسطوانة ورسر
الحانها المظربة . فما اقدر ان اصف الهية التي حدثت على اوجه الحاضرين
والحركات الانشائية التي ظهرت منهم عند الوقوف على هذه الغرابة . وهم الملك

مرات ان يسألي عن هذا السر العجيب لكن ادعته الانحان عن قطع هذه
اللذة العظيمة . فلما انتهى اللحن الاول اوقفت الآلة لاجعل تشويقاً لما يلي
وحينئذ فاصت علي السوالات كالمطر المهر فتحت الصندوق وصرت اشرح
لهم كيفية العمل بهذه الآلة

وطرب الملك اشد الطرب واظهر لي ثائف دليل تشكراته القلبية لافصال
ملك فرنسا الذي اتخته بهذه النعمة السنية فاتخذت تلك الفرصة لكي اريه هدية
اخرى اكثر اعتباراً واشد عجباً من هذه فملت له الذي رايته كله من صمعة ملاديا
لكن ملكها اراد ان يجعل العلاقة الحية الصحيحة بيننا وارسل اليك ما هو احر
واثمن ما رايت . ثم اخرجت له من صندوق صورة الملك الباريت فلما وقع
نظرة عليها احدثه الابهال لان الصور الصعبة الموحودة في كائنات الحسنة
لم تظهر له شيئاً من دقائق هذا الفن الطيف . فكان يرى الصورة المذكورة
كأنها تخص محمداً بكاد يطلق محمد فتغيراً ثم صار يمد يده اليها لعله يمس حسناً
من لحم ودم فلا تصيب ادهاناً مستطفاً فيزداد تحيره كالولد الذي يمد يده
الى بركة ماء ابسك خيالة المتعكس . ثم صار ينقلب الصورة ويظهر الى قدامها
لعله يدرك مصدر هذا السر ويبحثها من الامام والوراء وهو لا يهندي الا الى
الادهاش وتلك الافكار والارباب

فملت له احباً ان كنزة اللبس تودي الصورة وتنقص روتها وهذا الهدي
تراه ليس ادهاناً على نسج بانع روتها وتقبله الملك من دقة الصماعة . فسمع
حينئذ لحواصداً يندرجوا عليها وامرهم ان لا يمسها احد بيده وبعد ان فرغوا
ارسلها الى الملكة واصفاها من الوضبة وبني نصف ساعة ارجعت الى المجلس
فوضعها على سريره وحمل يتأمل فيها وقال حسناً ان هذه النخبة احر التحف التي
ارسلها اليكم وهي ما يريده عدي اعتباراً وحسناً فكلي اراه واحده . فملت
له الآن بواقى اطلاق المدافع اكراماً لملكنا . فاحاب في الحال وقفا فاطمنا طنين
لم يكن لهما صوت عريب ثم امرت بتكثير كمية الحشو فلما اطلق المدفع كان له

التمتع عظيم فدهش الملك وأمر بإبطال الإطلاق
وعند انقضاء المجلس طلب روثي أن يقابل الملكة فأذن له الملك
فدخل وسلم عليها سلام الحلال فأجبت منأه ولا طنة كثيراً فقدم لها نفائس
الحلل الحريرية فاخترت الساذجة منها ولم تكثر بالمقنونة
وفي آخر النهار أوم الملك وليلة فاحرة على ما وصف آنفاً. واتفق لروثي
أن يقابل هناك الوفد الأنكليزي تحت امن هري المار ذكره وكان القصد
من رحلتهم الوقوف على احوال البلاد والتجارة لأن أنكلترا كانت مدممة موحمة
انظارها الى بلاد الحشة ولذلك كان ارباب الدولة والملك والملكة لا يكرمون
برلاءهم فسافر مري برفاقه غير شاكرين

وفي تلك الاناء شكى الملك حذاراً فاستوصف روثي موصفاً له الفرق
بدهن ابني فرس الهر وهي عادة جارية في بعض اقطار افريقية . وكانت غاية
روثي في هذه المسألة لامداواة الملك فتطلب الحصول على هذا الحيوان ليرسله
الى مجمع الآثار في باريس

دأبته الملك بجماعة من المحربين في الصيد فمضي بهم الى نهر سيبا لكثره
فرس الماء هناك فاحتاز بضع بعد اخضاب وانصر صنع في بلاد الحشة وهذا
الصنع يشبه الهر المذكور فيكسبه روناً خاصاً فصلاً عن كثرة الدانات والاشجار
واصنافها المتعددة . فان الهر يجري أولاً الى جهة الشمال العربي ثم يعطف
غرباً ويقع في اليل الاررق . ومن عند قرية شيابا الى جبل موحير يحدر
سرعة في وادي عيب العمق يشق هضبة شوى شناً قائماً غريب المظهر وعلى مسافة
٢ كيلومترات من العولولو قبل ان يصيب في هذه النخبة العظيمة يكون ارتفاع
محراه عن سطح البحر ٢٧٠٠ متر وبعد مسيرة ٤٨ كيلومتراً نحو الشمال العربي
يصل الى حوت فيكون ارتفاعه هناك نحو ١٤٠٠ متر فيكون تحدده من وهدة
الى وهدة على التدرج سريعاً عيباً ولا سيما في رهن فيص الامطار . فنضارة
البلاد على ضفتيه من اعظم ما يكون وتكثر الفرود في تلك العياض المشتمكة

والطرق في سفح الجبل الى مجرى النهر مستوعرة جدًا ضيقة وحولها وهاد يشعر
المدن من النظر اليها فلا تسلك تلك الشعاب الا بغال الخمسة المتعوده

فلما شرعوا بصيد فرس الماء كان رفاق روتى يرمونها بالحراش كما تطعن
الحشب لصفاقة جلودها واما روتى فكان يطلق الرصاص في ادمعنها فتبسر له
قتل انسى كانت قد ولدت مد عهد قريب . تم قتل غيرها ايضا ولم يوفق الى
اثناء مطلوبه . وبعد العشاء السعيد عاد خائفا الى اعداؤهم فلم يلبث اياما قليلة
حتى وصلته رسائل ملأت قلبه ورحا

وذلك ان اثنين من السباح الفرسويين كانا في رحلة علمية الى بلاد الخمسة
وقصدا الحولان في مملكة شوى فأوقنا على شحوم حرة فارسلنا الى روتى
يطلبان مساعدة الملك لانهم سرها فعرض روتى النصبة على الملك وكان
حينئذ يتأهب لغزو بلاد الحالة فارسل الاوامر المشددة بايصالها اليه ولم تقص
الا ايام قليلة حتى اجتمع الاصحاب

وامه الجالة هذه اتربا الى تبي من احوالها في الرحلة الاولى لروتى وانها
متأخمة لكل ارض الخمسة من الجنوب وانها ذات شدة وطقس وحس صورة
بيها وبين الامهرة متماهة من عدة اوجه الا انها ليس لها غديهم . والفن
بين الفريقين متواصلة ومن عادة ملوك شوى اكتساح بلاد الحالة كل سنة
فمتيسر لهم لما بين قرياتها من الاشتقاق ان يفهم في رنة الطاعة واذلال الناس
فشهد روتى وصاحبه هذه العزاة التي قام بها الملك صالح وراوا من كثرة
العساكر وحسن نظامها ما اعجبوا به وكانت النائل تنضم الى العسكر في اثناء
الطريق من كل بلد يصلون اليها بين فرسان ومشاة الى ان بلغوا معبد
الاجتماع الاول فبلغ عدد الفرسان نحو ثلاثين الفا منهم بالرمح والسيوف
وتروس الجاد يوجون في تلك السهول كبحر متلاطم وريق استهم ولعان
سيوفهم ما بهر الاضمار والجيوث مشنكة كانوا رجل من الجراد يزدحم بعضه
بعض والجلدة وقفعة السلاح وصهيل الخيل تملأ الحو والعار مضروب موقهم

سرادقات واقبل الملك على فرس من جياد الخيل مرخف العدة ووقف في مقدمة الفرسان مابهة وجلال . وعلى جانبيه رحلان بجملان مظلة من المخمل القرمري في اعلاهما صليب ونفاحة قصة ووراءه الساسة بالنروس المرببة بالنصه وعشرون من الكهنة وساء يقين بخدمة مائدة الملك ومعمون ومغنيات ولات موسيقية واربعون رجلاً بصرون الفارات . وقدام الملك على بعد ثلثمائة قدم مهر يحمل ساقه معطاة بالخوخ الاحمر فيها الكتب المتدسة وحوله جماعة معهم المنادق يحرسونه اتخذوا ذلك مثلاً لتماوت العهد حين كان يسير امام الاسرائيليين في الحروب

فاجتمعت العساكر كلها في محلة فيني فيني في ٢٤ اذار سنة ١٨٤٢ . فكان عدد الفرسان ٤٥ الفاً وزحفوا على بلاد الجباله . فرأى المساكين انهم لا يستطيعون القيام في اوجه عساكر كالرمال كاملة السلاح متفنة الطام . فلجأوا الى حبرائهم تاركين ساءهم واولادهم وشيوخهم وبهائمهم فوجدوا الحشنة في سهل ناجي وبري غبية ماردة لانقذر لها قيمة . فاقف الملك عساكره اولاً ثم بعد ساعة قال لهم كروا والمصر من الله فانقص الخيول كالسيل المتدفق او كالدئاب الكاسرة قال روتى فاقشعر بدني من فواحش هؤلاء الوحوش وفظائعهم وما كنت ابالي لو كانوا بحاربون رجالاً لكن يذلون شراستهم في من لاقوة لهم ولادفاع فصاق صدري وما عدت استطيع صبراً على معالهم القبيحة فاقشعت المعمة لعلني اخضع بعض الانفس البريئة والحلوقات الطاهرة . فرايت والله يعلم شدة تازري شيوخاً مقطعة مهشمة وساء مظروحة بحجاب اطفالها الرضع المدبوحين وحتماً واشلاء لا يقع عليها الذئب ما لم يرتعد الدن ملطحة بالدماء معمرة بالتراب مقطعة مهشمة . اطراف مقطوعة وروؤوس مدحرجة ولطون منورة وصدور مشنقة وهلم جرا . ثم رايت فارسين مفضين كالنازي على امراء وفي نهب الارض ركضاً وتستعيث فسللت سبيي واندفعت لخدمتهما فلم يدركها الفرسان حتى كنت قد وصلت وانتشرت اليها ان يرحما عنها فهز احداهما رحمة وصوته الي مصر بته

السيف ضحاً على وجهه فطاش من شدة الصرعة ونكص مهرب رقيقته ثم لحق به . وتقدمت الى المرأة فجمت على ركنيها ومدت الي يديها متوسلة ودموعها تجري فاومأت اليها اني اتيت لانهما من يد عدوها واذا بجدي قد اقبلوا فرجلت احدهم عن دانه واركنها وهي في ذهول مما اصابها

وعمل روتى عدة اعمال مثل هذه وكاد اصحاب الملك يفتنوه لو لم يظهر اسالته وغرضه ناسر جماعة من اعداء الملك حتى ارتفعت مكانته عنده اصعافاً ولما عاد الجيش الى المعسكر حدثت مهم عدة حوادث طليعة من ذلك ما قال اني سمعت من صوت اطلاق سادق من مكان غير قريب مضيت لاعلم ما الخبر فعلمت ان جماعة من الامهريه اطلقوا سادقهم على قوم من الجالة مخبئين في الاشجار فنصدت المكان فاذا هو حصيص هصة شخاطة لشعر العرعر والامهريه يتشتمون على اعدائهم في كل شجرة من تلك الاشجار وحالما يرون واحداً منهم يرمونه بالرصاص . وتقدمت الى شجرة علمت ان فيها ثلاثة اربع الجماعة ان يرموهم وكادت الشجرة عالية مشتمكة الاغصان فعملت انظر من حلالها حتى رايتهم بعد الجهد وادرت ان اخلفهم فاسرت اليهم ان اسرلوا فاطلقو سبيلكم وعاليكم الامان فلم يصدقوني وقوا متعاليين ماعلى الاغصان لا يطفون بكلمة فتقدمت لاصعد الشجرة لعلني افنعمهم ادا وصلت اليهم ثم لما امسكت الجذع سمعت صوت طلق وسقط واحد منهم امامي ميتاً وتراكم الجود اليه لينفضوه واختصوا عليه واردهوا حتى ما استطعت الخروج من بينهم الا بتجريد سبي

وفي ذلك الوقت اعلن الملك رجوعه الى ابعولولو واسرع في المسير حذراً حتى كان يقطع المراحل سير حثيث لا يبالي بشدة الامطار فاضراً المطر بروتى كثيراً . وكادت العيية التي عموها ٨٢ الف راس من المواشي فضلاً عن الاسرى وكان حظ روتى منها الحصول على حريته ليرجع الى بلاده وقد باع مبراة رقيقة جداً حتى لثبه الملك بالوالي او الحاكم ونطوا في مدبحه الاشعار الكثيرة وعرض عليه الملك احسن الولايات لكي يثني في بلاده فاني لشدة توفقه الى الوطن

العزیز وخصوصاً لان صاحبه السائحین سافرا الى غندار
 فسارح روتی مملكة شوی ومرت قرية البو أما في ولاية ابفات وكانت فيها
 سوق نقام في اوقات مخصوصة وتعرض فيها اصناف المضاع المعروفة في امريقية
 الشرقية واستنصع ما لزمه لقطع بلاد عادل . ومن تلك البضائع البين والظن
 والنع والعبيد يباعون نادوات رجاجة . والمسوجات النطنية والحربية
 يوتي بها عن طريق البحر الاحمر . والمعاملة التي يتعاطونها لذلك قطع من الملح
 اهل الحجة الشكل طول الواحدة نحو ربع ذراع وسكها نحو قيراطين ويسمونها
 هناك عمولة والعشرون واحدة منها تساوي تالرو (عمارة عن نحو ٥ مرنكات)
 وهم ينفونها جهدهم من الرطوبة ومع ذلك فطالما تالفها خصوصاً في فصل الشتاء
 فتصير قيمتها قيمة الملح التجاري لان وزنها ينقص لذوان جاب منها . واسعار
 الماشية في السوق المذكورة بخسة جداً والحروف يباع بحمس قطع من العمولة
 اي نحو فريك وربع واما الثور فيباع تسعين قطعة . وقس على ذلك
 وفي اثناء تحول روسي في ذلك النظر راي حمة اي سعا حاراً وتتل عند
 نرين وهرح الاهالي بذلك فرحاً شديداً فالح عليه الملك وامرانه الحاحاً شديداً
 ليعتق في البلاد فاعنددر واستاذن بالرحيل وركب الطريق المؤدية الى تاجررى
 وعرف في اثناء الطريق ان الرسائل التي كان يبعث بها الى فرسا كانت تقطع
 قطعاً وتوزع بين الناس بصفة طلاس . وانتق له ايضاً لثناء صاحبه بعيضة الآفة
 الذكر . ثم بلغ تاجررى ومبها مضى الى زيلع ثم الى محنا ودخل مصر والى عصا
 الترحال في فرسا في آخر سنة ١٨٤٥ . وبعد مدة عين قنصلاً لفرسا في جدة
 فتوفي بها سنة ١٨٥٤

الباب الثاني

رحلة برتون وسبيك

١٨٥٦ - ١٨٥٩

الفصل الاول

وصف ساحل زنجبار - جزيرة ومدية زنجبار - مماس وسحابي

القسم من ساحل افريقية الواقع بين راس الفيلس ورأس دجارو (كنابة عن عشر درجات من المنطقة الاستوائية) يشبه قوساً كبيرة نغيرها الى جهة البحر الهندي . والنقسم من هذا الساحل الذي يصل الى خط الاستواء ممثداً على مسافة بعيدة من شاطئ البحر مختص رولي قاحل واحوال هذا الساحل مجهولة تقريباً الا ان جزءاً منه تسكنه برابرة الحالة ويقال لهم الصومالة وتختار قوافل التجارة الى بلاد قنة وتشته سواق قليلة وتستق من اطراف مضائق اهر تجري بعيداً الى جهة العرب . واكد قبطان انكليزي انه راي من البحر تلحاً منياً كل السنة على قننه الشاحنة

واول نهر يصل اليه السائح يقال له نهر حوب مصدره ذوب هذه الثلوج ومنعته على خط الاستواء وصعد به بعض السياح الى مسافة بعيدة . ورُجي انه يكون آمن سبيل للوصول الى مابع البيل (ليعلم ان هذا الكلام كان قبل سنة ١٨٦٠)

واذا تقدمنا على الساحل المذكور جنوباً يتغير بمطار الطبيعة فنرى الأرض عند الشاطئ مسنهلة مكسوة بنبات غرض كثير جداً وعلى بعد قليل من الشاطئ ترتفع الأرض دفعة واحدة وتندرج في الارتفاع بدرجات متتالية الى ان تنهي بحد عظيم يقال له موقارنحا حتى ان من يطر الى البلاد من البحر يراها كسلسلة جبال مستعرضة نازاً شاطئ البحر . وفي السموح كثير من العابات وتجرها اودية كثيرة تستطيل الى جهة الشاطئ وتجري منها انهار كثيرة على ضفافها انواع البساتين المدارية الملتفة . ومن هذه الانهر دانا وساتي وهو قريب من فرضة ميلدة القديمة المشهورة . وبحاني وقنجاني ولوفدشي ورعوما ومن طعم مياهاها بحكم على انها صادرة من التلوج الدائنة وقال كرتف ورمان من مرسلتي الاكليز انها رابا على بعد شاسع من الساحل بين تلك الجبال فنتين شامخين يسميها الاهالي قليمان جارو وقانيا والتج عليها دائم

والبلاد الجبلية المرتفعة تسمى في جهة الشمال أوتماني وما يلي جنوباً جاعة ثم اوسبارة وبعد ذلك متقدماً الى المغرب يقال للمصاة العالية أوبا موازي . ومن وراء ذلك ثلاثي في محاهل افريقية الوسطى وكان يقال قديماً تأكيد ان في هذه البلاد المسماة اوبيا موارد بحيرات كبيرة تملأها مياه الامطار المدارية العربية فتتساقط منها انهر كبيرة . والتوافل التي تسير من الساحل الى جهات تنما وكيلا وبجامو يولتطلب العاج في الداخلية والعبيد ونحو ذلك من اصناف التجارة نقول باجماع انها تصل من طرق مختلفة الى بحيرات كبيرة لاتجار الا بالنوارب الكبيرة . فوجود هذه البحيرات اثبت فصلاً عن المائدة الجغرافية وجود اسباب تجارة مهمة في تلك البلاد الحصبة العنية . وبهذا السبب غدت انكانرا لجنة لاستقراء تلك الاقطار وفي مندمتها رجالان من ضباط عسكر الهند وهما رتون وسبيك صاحبا هذه الرحلة . واستفيد من اخبارها ما سيأتي في الفصول التالية

والنظر المنخفض الملاصق للبحر يقال له مربعا وهو كثير الحصب لكن

غير طيب الهواء فلا يمكن للغريب ان يستوطنه ما لم نصبه المحسى . وسكانه على
 الأكثر ليف من السودان والعرب يقال لهم السواحلية . ويقطون ايضاً في
 بعض جزائر بازاء الساحل مثل جزيرة ميا المشهورة بمخصب تربتها ووفرة
 سنانها وجزيرة زربار وهي اكبر تلك الجزائر واكثرها نخاحاً وفيها مقام والي
 البلاد ومدينته المسماة باسم الجزيرة حديثة العهد وكان بلغ عدد سكانها في
 اوقات رواج التجارة اكثر من خمسين ألفاً وذلك لانها سوق افريقية الشرقية
 بقصد ما العرب والاوروبيون وتجار الهند لتبادل الاصناف الافريقية والاجنبية
 وازقة هذه المدينة صيفة متعرجة وقد عمل لها الاوروبيون محاري
 للتبادلات فصارت نظيفة سليمة الهواء الا ان اردحام الممارل في وسطها سب
 لقلة النظافة ويوت العرب فيها من الخمارح يبعاء كالنخ وكما كان البيت كبيراً
 كانت مسامير ابوابه كبيرة واقفالها ضخمة ودل على عظمة صاحبه وفي داخل
 الباب الاكبر كثافة صفة طلسم تقيم المساوي ومن خارج سلسلة حديد لمنع
 اللصوص وكل الماقد صغيرة كانت او كبيرة مشككة بالحديد

وقرب وسط المدينة من جهة البحر حصن له اسوار مشرفة وابراج مستديرة
 وامامه عشرون مدفعاً قريب بعضها من بعض حداً حتى لو اطالمت سقط
 الحائط الموضوعة عليه فلو حاول زورق واحد اخذ القلعة المذكورة لما غر
 حتى قيل ان رجلاً واحداً اميركياً دخلها بسيفه لتخليص احد رفاقه ولم يستطيعوا
 دفعه . وفي داخل القلعة السجى الوحيد في البلد ولا تصيبق فيه على المسجونين
 وليس في المدينة شيء من الاشياء التي تستحق الذكر

وعلى الساحل نحاء الجزيرة اسواق التجارة القديمة التي صار اكثرها مدناً
 ناهجة في زمن البرتوغاليين منها مباس ونعا وبغاي وبجاموبو . واما مباس
 فاشتهرت بعابها وتجارتها سنة ١٢٢٠ وافتتحها البرتوغاليون سنة ١٥٠٥ ثم
 اخذها العرب سنة ١٦٢٨ وبعد ذلك صارت لامير زربار وهي مبنية على
 صخر مرجاني قرب البر وفيها آتار كائس قديمة وحصن برتوغالي كبير كبير

الابراج المستدين والقباب المحاطة بالاشجار وعلى الدّرّ نازاؤ رياض انيقة متسعة
والى شمالي مماس على بصعة فراخ قرية رأيت ميا التي بنى فيها المرسلون
الاكليز منزلاً جميلاً ثم هجروا لعدم محاسنهم في مقاصدهم

واما تدعا في قرية اهلها نحو خمسة آلاف حولها غابات من النارجيل
والكرنب قائمة على هضبة تشرف على البحر وهي نقطة ارتحال القوافل التي تذهب
شمالاً الى بلاد ماساي . ونحاني بلدة اخرى على مصب نهر ماسي وهي بين
تنغا وزنريار في موضع اتيق اصر وفي شماليها غابات النارجيل وجوبيها
مرتفعات الشاطئ . فتظهر من داخل الوادي الجبال الشاسعة الزرقاء ومن
الجهة الاخرى البحر الفسح وعلى ضفة المهر بين تلك الغياض الكثيفة منائر او
شبه مراقب تجعل لذلك الوادي شهياً بمصيق المومفور . واسية البلدة اكواخ
من القصب لكن فيها بعض بيوت مبنية بالحجر ويكثر السر في الغابات المحاورة
لها وكثيراً ما يتعمق المارل . وفي المهر كثير من التماسيح لا تزال تخطف الاولاد
الذين يدبون من ضفتيه . وعلى ما تقدم صفة مجاموبو وكيلوا وهما الى حمة
الجوب



الفصل الثاني

مجرى سفر برتون وسبيلك

في ٢ كانون الاول سنة ١٨٥٦ كان خروج برتون ورفيقه من بمباي وكانا قد تعوذا استقراء الاراضي الافريقية وفي عزمها هذه المرة ان يتوعلا في داخلينها . فقابلوا ساحل رنحمار في ١٨ منه فرأى برتون مظهرًا عجيبًا وصفه وصفًا جميلًا

ودخلا جزيرة اسمها تمباتو يقال لاهلها الموحدون وعندهم كبير من الخرافات الوثنية ورأيا ايضا جزيرة مما التي بدعوها العرب جزيرة الرمد وفي ٢٠ منه القيت المراسي امام مدينة زربار فاستقبلها هامرتون فحصل اكلترا وترحب بهما كثيرا وكان رجلاً صاحب حمية واقدام وبنهتو كفت التعديات عن الاجانب هناك واخبر برتون ان حاميتهم كان اميرا اسمه سعيد وقد توفي منذ عهد قريب فاسف عليه الاوروبيون جدا وكان فصل الشتاء قريبا ايضا فاشار عليهما ان يترضا بضعة اشهر ويتعولا في سواحل الملاد . فقبل برتون رأيه وعزم على التطواف في السواحل فاستصحب دليلا من العرب يقال له سعيد ابن سالم وكان فتى وديعا بخلاف اهل الملاد . وركب هو وسبيلك فلكما عربيا وفي ١٦ كانون الثاني سنة ١٨٥٧ ارسيا في مماس فرايا الناس افواجا على الشاطئ ينظرون اليهما ويسالونها اسئلة مختلفة ونساء السودان يغتسلن في

البحر والاولاد يترأضون على الرمل وهم يصيحون «مُرغُو مُرغُو» اي رجل ابيض

فاقاما مدة في مماس مصيا بها لريارة المرسل الانكليزي ريمان وكان قد تعود هواء البلاد وجرتته السباحة في الداخلية فافادها افادات مهمة ثم عادا الى تنعا ونحاني واخذنا بتاهبان للرحيل وركبنا هر بجاني ايصلا الى قرية فوحة حيث مقام السلطان قوير ويتوحها الى اوسمارة . فشبنا في الهر اياما وهو هادي رائى عريض عند مصبه الا ان فيه بعض شلالات . قال برتون وكان نقدا ما لطيفا متعملا لكن لذيذا بحسن المناظر وكما يرى مرس الهر يبرز راسه من الماء ويطر الينا نظرا وحشيا ثم يغوص ويوعا من التساح فيج المنظر هائل الخالب عائر العينين يتشى على وجل الشاطئ وينف باظرا الينا كالمجدع الممدد . والفرد تواتب في اعالي الاتجار والرحال والمساء يطادون السمك بشباك خشبة وخصرة الاتجار من الاحوى الى المصدر والمحمرك تكسو الصنيتين ومن حملة الشجر نخل قصير عريض الجذع حذا يسونه نخل الشيطان له سعف صغيم كنفخذ الاسنان طوله نحو ٢٠ ذراعا ومن وسط الساط السندسي تحت الاتجار ترتفع رباح بيضاء كرفع التلع ومع ذلك فالبلاد قليلة السكان لابلوح للماطر الا آثار قليلة من الناس ولا يسمع عالما الا صياح القرك (نوع من الطير) وحنيف الاتجار بالنسيم الخيل

وعند الغروب نالعا صغرا قائما في وسط الهر ابيض عليه اتجار قديمة يسميه الاهالي بير واسين وبروون انه كان شيئا عربا شريف الاصل نمت يده جماعة من المؤمنين فحجم عليهم هالك البرارة وهزمهم فطلب الشيخ ان تنشق الارض وتنبأه لشدة حياث من الهرمة . ولا يسمعون نطق شي من الاتجار التي عليه . وان الاهالي يدهون الى هناك لزيارتهم ويطبخون وياكلون ولا يلحسون اصابعهم خوفا من الارواح الشريرة المستمرة طائفة حوله ولا يمر حرس امير زنبار من هناك الا ويطرحون في الهر شيئا من ورق الشجر والبارود

والرصاص

وفي اول الليل لعا قرية دات اذ عال كتيبة فنزلاها وترحب بها الناس
وبانا تلك الليلة في عانة حسنة على ضفة المهر وفي نصف الليل ركبا الفلك
ونقدا الى قرية شوغواي وهي مركز البريد موقعها بين الجبال تشرف على
العنات المودية الى اوسمبار وفيها جماعة من الحرس السلطاني. وحاكمها الملقب
بالجامدار احس الاثبات اليها واصحها رهنط من الحرس وجماعة من العبد
لحمل الاثقال لكن لم تكن الجنود حسنة الضاعة على الطريق فبعد عشاء ومضض
وصلا الى قرية اسمها قوهوداي على الضفة اليمنى من المهر والاشجار حولها مشتبكة
كثيرة حدًا وحولها حاجر حصين لانتفاء الوحوش واللصوص وإهلبا كلهم سودا
فلاحون مبارلم اكواخ صغيرة بين مربع ومستدير والماتبة تسرح حولها من
نهر وماعز وغنم ونحو ذلك

واستمر سيرها في مسالك صعبة مستوعرة نحت امطار غزيرة والقرى
منشورة على الطريق وإهلبا يستوقفونها في كل وقت ويسالون استئلة مختلفة
لانهم هناك شداد الرغبة في الاطلاع على الاخبار الجديدة
قال برتون فلما انتهينا الى ارفع مكان من طريقنا نجيما اذ لم نر نحدًا وما
وقع نظريا الاعلى قارات مستديرة مخروطة خصرًا من الكلا وفيها مسالك
ضيقة حمراء الثرة والاشجار كاسية اكثر سهوح الحمال وفي الوهاد منافع تشتها
سواق صغيرة والى جهة الشمال العربي حمال كبيرة الى منتهى النصر وكما حيث
على علو ١٢ متر عن سطح البحر . وبعدها نقدا نحو مرسخ عظميا في غمة
فراينا امامنا عدة اكواخ مخروطية فكانت هذه قرية موجهة واطلق الجنود سادقم
مخرج الناس من منازلهم ومضوا بنا الى منازل العرباء واقما ستظر اذن السلطان
بواجتهته وكان حظنا في لقاء متوقفا على خاطر المحجا وهو لثب رجل له في
تلك الارض سيادة خوري وعرف وطبيب فالكل يهابونه شديداً . ومثل
هذا الرجل كبير في انحاء افريقية ولا سيما الوسطى وله في كل مكان لقب خاص

ومن غريب زعمه في الاواسط انه يستطر السحاب . والمجنح هو الذي ينصح على
العرب دماً او نحوه بواسطة ذيل نقرة وذلك اذا كان العرب غير معروف
وهو الذي يتعلم للمختصرين ويكمل يوسمهم الى الله وهو الذي يشرّد عن
المرضى الارواح الشريرة وهو الذي يصع على العاج الذي يرسل الى السواحل
سمات سحرية نفية من كل عارض وهو الذي يكشف الدسائس المرمومة عنهم
لايقاع الوالي في الامراض ويعاقب اصحابها بان يوسوا حديدة ممجاة فاذا
كانت النهمة باطلة يزعم ان الحديدة لاتؤذيهم وله غير ذلك من الاعمال .
هذه قوة المحبب العجيب الا انه يكون مع العرب لطيفاً ويمكن استرصاؤه بتقديم
شيء من الخف قبلتي على العرب عبايته

قال ثم ادخلوا الى منزل الملك وهو في حصيص اكبة على بعد قليل من
القرية وكان ثامناً فاستوى جالساً عند دخولنا واجلسنا على اسكملت صغيرة .
وكان هرباً مخيلاً حاداً ليس في راسه شعرة ولا في ذقنه ولا في يوسن . احمر
الحاجبين ارض اليدين والرجلين بلبس طربوشاً وسحاً وحية رنة من حوخ ووقها
رداء قطبي مطون وتحت طمسة عجمية بالية وليس في منزله شيء يمتاز به الا
وحرد خواصه يتعدثون فيما بينهم ويعصم يروح له ومع كل واحد قصة طويلة
فيها عليون من العاج . واخبروا الملك اننا نخص الجوم والشعر والحجر فطلب
اليما ان نركب له دواء يعيد اليه صباه وقوته فاحتته اننا تركنا كل عقاقيرنا
في بخاني فقال انه يسهل وجود عقاقير في حال بلاد . وبعد رجوعنا الى
ماوايا ارسلنا اليه هديتنا وارسل عوضها عملاً ظريفاً وسلة مملوءة من خبز اللاد
وشبثاً من الموز الاخضر مغموساً بمصل اللبن

واسم هذا السلطان قوير اي اسد الرب وهو مستند الحكم ببيع رعاياه
عبيد التجار العبيد وياخذ اوفر نصيب من الهدايا ونحوها مما ينال الامالي من
الاجاب وله حرس مولف من اربعة ائمة هندي كلهم اصحاب بنادق وله حق ان
يتزوج ثلثة امراء لكل واحدة منزل وخدم وله تسعون ولداً صار اكثرهم

مسلمين وبقي هو وثنيًا

وقرية فوجة قاعدة بلاد اوسمارة اهلها نحو ثلاثة آلاف نس والاكواخ
هناك مستديرة كما هي العادة في كل افريقية الوسطى من حد حرار الى تمسكو .
واهل اوسمارة يحنطون بالعرب فلونهم اسمر وهم صغار الاحسام اشداء يحنطون
رؤوسهم ويمشون حفاة ويعلفون طلاس في رقابهم وكعوتهم وايدهم ويلبثون
كساة على احفائهم وتضطفون بحبل يعلفون به سكيناً ولا يخرجون من مكانهم
الا ومعهم العليون والفوس والنساء يتغلبن ثلثاء من حرز ايض تنيلة حدة
وليسن قميصاً يعقد تحت الاط ويرسل الى الاقدام ويتعاطين الاستعال البتية
والرجال يشعلون في الحنول ويرعون المواشي ويضادون الضياء وغيرها
ومن شغل النساء ايضاً الاحتطاب ودق الحبوب بالهواويس واكل اللس عندهم
نادر واندريه اكل اللحم كما هو شائع سائر العراة . وانفارهم قليلة الدر
واوقات درها غير مزية وهؤلاء القوم موصوفون بالخبث واللمة

ولما كان الحرس الانكليزي لا يستطيع احتمال البرد اضطر الجماعة الى
الرجوع فاسف الملك لانه فاته رحيلهم الدوا المعيد الشباب . وفي ٢٠ شباط
وصلوا الى شلالات البهر ثم بلغوا شوغواي وبعد وصولهم الى بحاني اصابت
برنون وسبيك حتى شديدة فركا سفينة الى زربار بعباء عظيم

وهذه الحمى سائدة في كل افريقية من بلاد الجزائر الى راس الرجاء ومن
سعال الى راس القلنس ولا ينفع منها احد من الاوروبيين وهي تنديء بانحطاط
علم وتثقل الاعضاء وتحدرد الدماغ وتفرز شديد ثم يشعر ببرد صعب الاحتمال
ووجع في الاكتاف وبعد ذلك تحدث قشعريرات وصداع اليم وحرارة في الوجه
واحتقان الاوردة وهي عظيم حتى لا يستطيع المحبوم وقوفاً ونقص العيون من
ثقل الجفون واذا اجتهد العليل بفتح عينيه يشعر بالنهاب مؤلم ويسرع النض
ونكسو اللسان مروة وتفقد شهوة الطعام ويستولي عطش محرق حتى لا يروى
صاحبه . والليل اشد الما من النهار حتى يشند الهذيان . لكن يجترس دائماً من

الدصد لان به الهلاك قطعاً . ويجب على السائح ان لا يخلو مطلقاً من الكينا
 ويغذها في فترات النوب . فاذا كان سير الحى خفيفاً نتعاطم الاعراض
 ويخل العقل تماماً ثم يحدث تضرع ظاهر ويعقبه حالاً فقد الشعور والحمول
 ثم الموت . واذا كان سيرها حسناً الى السلامة تتناقص في اليوم السابع وينعش
 اللسان وتسكن الآلام غير ان مدة الفقه تكون طويلة وصعته فيوافق جداً
 تعب الهواء لكن لا يزال العليل يشعر الى مدة طويلة بعض اعراضها كالجوع
 حادة في الفك وانحطاط القوة واضطراب العقل وبعضهم يقضي حياته ولا يشفى
 تماماً . غير ان صحة سيرة برتون وسيلك وحسن المعاملة بهمة هامرتون ما
 ساعد على غلة هذا الداء الحميت فشفا تماماً في بضعة اشهر وكاسا في
 تلك الاناء يتاهان للرحلة الكبرى الى البحيرات الداخلية على ما ياتي

الفصل الثالث

— * —

سفر برتون وسيلك الى البحيرات الكبرى

في ١٤ حزيران سنة ١٨٥٧ ركا سفينة لامام مسقاط وبعاً قرية قولاي
 على مصب نهر فنجاني وهي اول الداء الذي قصد دخول فصادف هناك من
 الصعوبات ما يصادف كل سائح في تلك الاقطار فكانا قد ارسلوا وكيلهما سعيد
 اس سالم ليستاجر لهما رجالاً ودواب لحمل الاثقال فما استاجر اكثر من نصف
 المطلوب وكان نجار العرب يخوفون الناس من سكان واسط اريقية حتى

لا يصحوا الا فرخ في رحلاتهم فصعب عليها استئجار جماعة كاتبة لكن سدل
الدرهم والصبر والشهامة اكمل برتون جماعته وسافر في ٢٧ حزيران وكادت
الفاطمة مولدة من ١٢٠ رجلاً بين سودان وعرب مختلفي الاجناس والاطوار
وعلى رئاستهم برتون وسبك

واهم من يذكر من هذه الجماعة اولاً سعيد بن سالم المار ذكره ومعه امرأته
واربعة عبيد ثم قهرمان سبك وصاحب سلاحه واسمه مبارك بمبي واثله صدمات
غير عريقة في سلالة السوداء وخادم آخر له اسمه موني مبروكي ودو فط
الطماع شره الناس بعض الخلق والخلق منطرف في كل اعماله شديد الحرص
على ما بيده وكبير الطمع في ما لغيره. ثم خادمان آخران من موادي النرتوعاليين
والسودان في غنى اسم احدهما حيتانو والآخر والنتين بوصفان الكفاءة وحب
السيادة والسرقة والكذب والشرافة وضعف الطمع لكن كان والنتين قد تعلم
لغة السواحلية واستعمال الترمومتر والبارومتر وانواع الطبخ والحياطة وكان
حيتانو حريصاً على مواساة المرضى حسوراً لايهاب خطراً منذاً على الاموال
لا يبالي بالموت. ثم عشرة من جنود الحرس معهم السادق والسيوف والبنروس
والحماجر وكانوا ما موريت بحراسة السائحين تحت مسئولية شديدة ورئيسهم
الجمادار ملوك اعور قط ذو دهاء ومكر. ثم المكارون ومحو اربعين حملاً
وكانت الاحمال مولدة من تياب حربية وقطبية وفلاندا من حرر او حرف
صبي واسلاك حديد ومحاس يطلمها البرارة كثيراً

فكان برتون مع مثل هذا اللفيف مضطراً الى شدة نيقط وحسن تدبير
فكان كل يوم يشتط الكسالى ويوقظهم من نومهم ويحث المحالين والمكارين على
الهمة والجهد على التحفظ والسهر ويسكن الشعب ويلاطف الجماعة وهلم جراً
وكانت الايام الاولى متعة والطريق التي سلكوها في وادي فنجابي تمر عدة قرى
وتخل العباض والعوسع المشتك والساتات الملتفة والارض رطبة من ماء المطر
والصبا فاسد الروائح. فلم يمض اسبوع حتى سقط سبك شغل الحبي

وأصابت رنوت بعض اعراضها وبالمشفات والالوجاع بلما قرية ذبل المهرة
حيث قتل السائح ميزان من عهد غير بعيد

وكان ميزان هادفتي من صباط البحرية الفرنسية فخطر له سنة ١٨٤٤
ان يكتمب الحيرات الكبرى فصوبت الحكومة رايه وارسلته الى جريدة بوربون
فقصي منها الى زربار صحة التوصل روشان وكان سلطان زربار قد عند
معاهدة حديثة مع فرنسا وكان ميزان تلميذا في مدرسة اللغات وحصل معارف
كثيرة واتخذ الآت علمية وادوات من كل نوع كلها غاية في الاتقان والطرف
فكان لفلة محبرته يكسها امام اهل افريقية فيطعمون فيها لما لها من الهام واللعان
لان اكثرها ادوات نحاسية مدهمة او فولادية محلوقة صفيلة ومن الحملة ناحة
نحاس مدهمة كانت في راس عمود خيمته ووجدت بعد حين معلقة في عتق
الذي قتله

ولما وصل الى زربار شاع الخبر بكثرة عن مطامع فرنسا وتحدث
الناس بمناصدها في وضع قدمها في تلك الاقطار وكان التجار الهنود الذين
يذهبهم زمام تجارة السواحل كبري الحدر شديد المكر يشيعون الاراحيف
عن الامم الداخلية ويوهون الناس بمخاوف كثيرة وقصى ميزان في زربار
شهرين يتعلم اللغة السواحلية . وقبل ان يخرج في رحلته ساح ثلاث مرات في
السواحل المجاورة حتى تمت لاعدائه الفرصة لمصيب مكابدهم ولم يحسن ملاطمة
العرب الدس بمحمونه في طريقه من الطوارق بل استصحب رجلا من اهل اويما
مواري ولزيادة نخس رفض استصحاب الحرس الذي عرضه عليه السلطان
ليسير معه الى الداخلية وهكذا اتى عسقه ملا نصير في ابدي رؤساء البرابرة
الجنفانة

وعند انصرام فصل الشتاء سنة ١٨٤٥ بلغ بمجاموبو وهناك صرف الحرس
الذي كان معه وعدده اربعون رجلا من اصحاب الساق وتقدم وحده في
الداخلية قاطعا نظره عن بصائح رفيقه الاويماوازي ولم يبق معه من الرفاق

الارجل من مادكسكر اسمه فردريك ورهط من الخماين . وخطراه في طريقه ان يرور فاري ماربحرا رئيس واقبة وهي قسم من اوزارومو . وكان مقام الرئيس المذكور في قرية ذيل المهن ورحب به واطهره الودرباء وانخدع ميزان بطواهر ملاطفة وقضى عنده اياما بالسلام والانس حتى اطمان قلب ميزان

ففي ذات يوم قال له الرئيس انك ارسلت نخفا الى جماعة من الرؤساء . وطال به الملام حتى استنشاط غيظا وادى به الحق والحقد الى ان قال له وانت توث الآن في مكالك . ثم اشار اشارة فانص على ميزان جماعة من البرارة ويايديهم عودان كبيران فاما فردريك فحمله امرأة الرئيس فصاح ميزان ان يلجأ اليها فيخلص فلم يفعل واخرجت المرأة خارجا ثم ربطوا يدي ميزان باحد العودين ورجليه بالآخر وصار مشوحتا بينهما فحملوه الى تحت شجرة كبيرة خارج القرية وصاروا يعنون اعالي الحرب ويصرون الطلب وتقدم الرئيس ماربحرا وصار يقطع اطرافه شيئا فشيئا وهو يساله ابن خنا نخبة ولا يجيبه بل يظلم الى الله ان يعمر ديوه الساقطة ويقبله في احضائه ويذكر اسماء الذين تصوره في اتباع رايهم . وراى الرئيس ان سكينه تثلث فعند يحددها على حجر وعاد الى عمله القطيع واخبراً قطع راس المسكين كانه حمل للدبح . وعاد يسال الذين يحرسون امتهنه عن مكائهم ويحاول ان يحددهم ليسهل اليه شيئا منها

وكان فردريك قد فرّ عائدا الى رربار واخبر الفصل روشان بالحال فسنة ١٨٤٦ وصلت سفينة حربية الى رربار لطلب قتلة ميزان وارسلت الى الداخلية مئتي رجل بالسابق للحاق الرئيس الظالم فلم يجده لانه هرب وامعن في الاختباء وكان صهيرة لايزال يوجهه بعف ويرى في اليوم روضى هائلة حتى اخنل وعاش بقية ايامه محنوتا ذليلا حقيرا وبعد ان وقف رتون على هذه الاخبار رجل رفاقه من ذيل المهرة

وبلغوا نهر محيننا فاجتازوه ودخلوا مقاطعة خوطو وهي ارض وبيثة لكن بكثرة
تردد القوافل اليها وقاسى الجماعة فيها من المشقات شيئاً كثيراً لان الطريق
الى مسافة بعيدة بين سانات عالية تندى بالرطوبة الى نصف النهار والوجل
لزوج مرافق كثيف فيه كثير من اصول السانات ثم دخلوا بعد هذه العياض
ارضاً باسنة مشنفة بالحرارة كثيرة المحتبش الياس . وثلاث مرات احناروا
مناقع فسيجة جداً كانوا يعرفون فيها الى الركة في الوحول والمياه فتصوا عمام
عظيماً . وصارت الامراض تستولي عليهم وما راد علاجهم ان حجير افريقية كثيرة
الجموع والعتار والكرو والشرود عن الطريق فحيرت اصحابها وضيقت
صدورهم وسقط سبك مرتين عن دانتو لسوء مسيرها

وفي ٢٤ تموز خرجوا من قرية دنومي ودخلوا ارضاً يتعاقب عليها المطر
وشدة حرارة الشمس وكلها هصاب متوالية خبيثة الهواء لا يسكنها الناس ولا فيها
زرع وهناك تندى ادغال افريقية المختلط فيها الشجر والعوج والعاليق
والاعتشاب المتكاثفة المشككة اشداً كما عجباً حتى لا يرى السائر ما امامه على
مسافة ١٠ خطوات لشدة الظنما . والارض هناك وحلية سوداء مكسوة بالاشواك
او الاعتشاب التي علوها نحو عشرة امتار وورقها في عرض الاصبع لشدة فوها
وكثيراً ما تعترض هذه الاشياء في الطريق فتسده ويحني لدى السائلة .
والرطوبة سائدة هناك ترتفع منها البخرة كريهة كان هناك جيناً مننتة . والجموع
ذلك لا يزال اغبر شكائف فيه العيوم فتصربها الرياح وتمرقها وتصب منها
سيول المطر بعنف شديد . والذي يكون في تلك الارض يشعر بسقوط قوتو
وثلاثي اعتدائه وخول غفله ونحو ذلك مما تكره معه الحياة . وبعد ذلك ترى
بعض الكواخ لامة خنيرة فبيرة ساقطة جداً سودان اندانهم هريلة جلودهم قاحلة
ملاسهم بالية بكثرون من المسكرات . فهذه حالة افريقية الشرقية من خوطو
الى اوزا حارا

ولما بلغوا رنومبرو مكثوا فيها من ٢٥ تموز سنة ١٨٥٧ الى ٧ آب وهي

قربة حنبرة كثيرة الامراض في وادي رطب لكن فيها محط القوافل وملقى
الطرق التجارية . ومن ورائها ترتفع الارض بسوح متحدرة حرداء الى ان تنهي
تخذ افرقية الوسطى فيصير الهواء طيباً

والسودان الذين في الاقطار المار ذكرها كالوارارامو والواخوطو لهم
عادات واخلاق كسائر سودان افرقية الوسطى الا في بعض احوال والوانهم
من الاسمر الى الاسود الخالك والوشم بينهم شائع وبحر حون وحوهم ثلاث
جراحات من زاوية الم الى قاعدة الاذن ويصنعون من المعرة ودهن الحروع
مرها يدهنون به شعورهم ويعملونه حلقات وخصلاً مختلفة الاشكال وعبون
الوارارامو مائة قليلاً وابوفهم منلطحه عريضة وشفاهم صخرة باردة وذقونهم مائة
فيها شعرات خفيفة ولباسهم ثوب قطي يسير الصف الاسفل يصغونه بلون
اصفر وسخ كلون تربة ملادهم ويلبسون اساور وقلائد راحية ويعملون من
الصف صتيعة لجباهم او يعلقونها في اقبيتهم وقد يعملون في معاصهم اساور
من نحاس او قصدير . وللاثنين المذكورين ابي الوازارامو والواخوطو حلية
خاصة يسونها بجويكو وهي قلادة عريضة من اللؤلؤ والحجر الاحمر والاصفر
والاسود والابيض . والرجال لا يبحر حون الا سلاحهم وهو السادق والرماح
والسهام المسومة والسيوف والحناجر الطويلة يصنعونها بايديهم من حديد
يشترونه من القوافل

واكواحهم مستديرة يعملونها من اوتاد يعرزونها في الارض ويشدونها بالطين
واغصان الحيزران يعملون لها سقفاً مخروطياً

ولهم عادتان ممتازتان توحدان ايضاً عند بعض امم الداخلية . الاولى الاخاء
ويقولون لها "ساري" وذلك اسمهم يخالعون على المصافاة والتعاقد لاحتياهم
الى معاونة بعضهم بعضاً في اكثر الاحوال . والاخاء عند الوازارامو يقصد به
ايضاً اتحاد الصالح وحسم الخصومات وحماية الصغناء من نكدي الاقوياء . ولا
يكون الاخاء الا بين الرجال النالعين وطرق القيام به مختلفة باختلاف القبائل

فعند الوازارامو والواخوطو مثلاً يجلس الرجلان الفاصدان الاخاء على جلد حيوان الواحد بارام الآخر ويمدان ارجلها متداخلة بعضها بعض وبصمان قوسيهما والسهمين على الانخاذ بشكل صليب وباتي رجل ثالث ويهز فوق راسيهما سيفاً وينطق باللغة على من يقض العهد ثم يذبحون خروفاً ويشوونه او يشوون قلمه ويانون به المتأخين فيجرح كل منهما نطمة تحت السرة حرماً يسيل منه الدم على لحم الخروف ثم ياكلانه ثم يهدي كل منهما الآخر شيئاً من نحمه ويبقيان مرتطين بهذا العهد مدة الحياة والذي ينقص الاخاء يُتَلَب او يستعد بحسب الظروف التي تقضى فيها . وطالما استعاد العرب هباك من مواخاة السودان فيفصون لهم مصالح مهمة

والعادة الثانية التي نستحق الذكر ايضاً هي انهم لا ياخذون لنفسهم شيئاً مما يجذونه على الطريق وخصوصاً اذا كان لابناء وطهم والذي يجذ ضائعاً ويخص به نفسه يستوجب القتل او الموت او الاستعداد . واتفق ان يرتون اصاع ساعته على طريق زنجومبرو فانوه بها ملقوفة بورق السمات . ومع ذلك لا يكون هذا الاعتماد مانعاً عندهم للسرقا

ولما تجاوز الركب زنجومبرو وبلغوا الجبل اقلب الحال بهم حالاً وصار الهواء طيباً والجو صافياً ورالت الامراض كانهما رُقيت في الحال . لكن لم نطل لهم السلامة فانهم بعد مدة قصيرة دخلوا غياضاً وادغالا ومناقع كالتي مارحوها اولاً فذاقوا العذاب الشديد فصلاً عن الحصومات التي كانت متواصلة بين جود الحرس وبعض الركب وقل زادهم فاكلوا ما لا يطاق اكله وفسد الهواء واصابت برتون وسبيك حتى خبيثت ودخلوا معبراً من اشد الطريق هولاً يصلون منه الى نجد او حوجي وراء جبال روهيو

قال برتون بينما نحن نرتعد من شدة الحمى قائلاً شِعْماً صِعْماً في سبع جيل قائم فرايت هذا المسلك كسلم درجتها قطع الصخور واصول الشعر وكان رفيقي سبيك ضِعْماً جداً حتى كان ثلاثة رجال يسكون به واما اما فما احتجت

الا الى واحد فصعد الحمالون ذلك المعبر الهائل كأنهم قرود يتسلقون جدار هوة واما الحجر فكانت تعثر في كل خطوة وفاسبها من العطش والسعال والصنى عذاباً اليماً فمنها مدة وحولها صراخ الحرب في رؤوس الاكام والناس يزدحمون بسلاحهم ازدحاماً شديداً . وبعد ست ساعات من هذا العذاب المبرح بلغا راس الجبل فانتعشت نفوسنا بالهواء السليم وانتشرت صدورنا بماطر الحضرة وبهواء الجبال والادوية النضرة

وفي هذه الشقة التي قطعوها باعظم العناء اصابهم وبلى آخر شديد الادي وهو لدغ نوع من النمل احمر ونوع آخر اسود اكبر من الاحمر فالنوع الاحمر يسير كالبحس الكثيف المزدحم ويتعلق بكل ما يعرض له بسرعة عجيبة واما الاسود فتطول الواحدة منه عقدتان (من الاصبع) ورأسه ضخيم ومنسراه متينان جداً حتى يمسك بهما الفار والجرد وهو يحب الاماكن الرطبة وجوار المياه وله اقدام غريب لا يهاب شيئاً ولا يفر من النار ولا الماء العالي ولدغته تكوي كالليرة الحماة واذا امسك شيئاً فلا يتركه بالقوة مطلقاً وهو عدو النمل الابيض المشهور بآفريقية ويسر بالاكل منه وله عدو ايضاً من نمل احمر يسمى هناك بما معناه اللادغ الميت لان عصته مولى جداً . واما الذبابة المسماة صيصي فقد ذكرناها في القسم الاول من هذا الكتاب وهي منتشرة من حد صناف الببل الى صناف زمينز

وبلاد او حوجي التي وصل اليها الركب بعد ان اخناروا شعب اوراجارا ممتدة في نحد فسمج على مسافة واحدة من الساحل وماوينا بيني وسكانها ثلاث امم الواراجارة والوحلية والواججو والتصح بكثري في سهولها وترى الماشية في الهصاب حيث يكثري الكلا لكن يسطو عليها لصوص واروري . واهل البلاد يبيعون التجار عسلاً ولبناً وبيضاً وسمناً وكلها انواع غير طيبة ويكثر فيها دجاج فرعون ومن حيواناتها نوع من ابن آوى ابيض ناصع كالفضة وفي سهولها الفيل والرافقة . وهذه تعمل من جلدها الثروس وعدد الخيل ولحمها الذيذ غير ان

وجودها قليل لكثرة صياديهما

وهواء اوجوجي معتدل نافع للصحة وانر في جماعة رنتون تانيرآ حسناً حسداً
وعقلاً فاجناروا سهولة الارض الاكامية الممتدة من اوجوجي الى الثم الشرقي من
اونيا موارى . قال رنتون بعد اربعة اشهر ونصف من سيرها من الساحل
وصلنا الى بلدة قازة وهي مركز اخص للعرب وقاعدة اونيا يمي التي هي اهم
مقاطعات بلاد اونيا موارى . فاحسن العرب لنا ما بخلاف ما قبل لنا وكانوا
لاسين الملابس الحسنة لم نر مثلاً عند غيرهم وقد مولوا لي كل ما طلبت ولو
بالاشارة ولم يقبلوا شيئاً وحسوا عرصي لبذل ما اتوني به اهانة . وكان
اغنى رجل هناك تاجر مخرب يقال له سناء بن امير جمع ثروة من صامت وناطق
وهو اغنى اهل افریقیة الشرقية وكان قد اصاب الصحة فاضطر ان ينم في قازة
واله من المحارن المملوءة بضائع بين ثياب وتاج وحلى ومن العبد والماشية ونحو
ذلك ما يحسب ضيعة راسها . واسانا احسن المواساة وقدم لنا حمالين وبكهل
شاهيب بصاعنا وهباً كل ما يلزم ارحيلنا وافادني بمجديته المديد اموراً كثيرة
فانه كان قد ركب بحيرة نغايينا ودخل بلاد قراجوة واوحدة تنالي هذه البحيرة
وعرف احوال تلك الامم وعاداتهم ولعائهم وكان كثير الاطلاع وله ذاكرة عجيبة
ودكاء عظيم وفصاحة وذلافة لسان ولطف عشرة حتى عجت منه

ومدينة قازة محطة الرحال للتجارة في افریقیة الشرقية واقعة في قطار حصص
سليم الهواء ومهما تشعب الطرق الى رربار شرقاً وبحيرة يبارا ومملكة اوحدة
شمالاً وبحيرة نغايينا وبلاد اوجيجي غرباً واوروري جنوباً . واسينها حسنة
موافقة لراحة السباح وقد استوطنها العرب منذ سنة ١٨٥٢ فحاسبوا عيشاً هيباً
رعداً وترسل اليهم الفانس من رربار وفي خدمتهم كثير من العبد والحشرات
وافرة جداً في بيوتهم

وبلاد اونيا موارى طيبة التربة حسنة الفلاحة كثيرة الثرى حيدة المراعي
يكثُر فيها الثمر المسمن والماعز والعم والعيش هناك لذيد للصحة الهواء وحسن

الماظرو كثرة العصافير المعردة ونقر الوحش واساب الملاي . وللساء من
المجوز الى الصبية عادة التدخين بالعليون يحدن فيها لدة كبيرة وبحرحن
الدخان من اوفهن ومن وقت الى آخر يرطبن افواههن بالدرة الطرية او
نحوها ويتحدثن اذا تركى العلويون احاديث مخمالة

والحيوانات في اوبيا موارى لا تختلف عن التي في اوزاجارا واجوجي في
الادعال السهلية والحلمية اسود وقروذ ونور وضاع وهررة رية وفي السهول
البل والزرافة والجاموس ونقر الوحش وفي الانهار التماسيح ورس الهر .
ومن القروذ نوع يقال له ياي او الكني الراس وهو في شمال البلاد منه احمر
واصفر واسود وكله كاسر . ونوع آخر يسمى ميجا عنه كثيفة الشعر وسعره
طويل اسود لامع وعرقه ابيض وهو شديد الاعتناء بظفاه حادة ويقول
العرب بتاكيد انه اذا لحنه الضبادون يرق فروته شدر مذر حتى لا يستبدلوا
مها شيئاً لاهم يصطادونه لاجلها واكثر مقامه الانتحار بفتات من غارها او
اخلافها الطرية . والعرب يذكرون ان في حوار اوبيا يمي نوعاً من الكلاب
الربة ارتاعه نصف منزله وروقة قاسية سمراء داكنة وذنب طويل كثيف
الشعر ويعيش طوائف كل طائفة من ٢ الى ١ وهو لا يعوي ويهجم على
الاسان والحيوانات الكرى

وسكان اوبيا موازي يطهر اهلهم السودان في تلك الاقطار اوتهم
اسير قائم هينهم اعد عن هيئة اهل آسيا من هيئة اهل السواحل وتسعت من
ابدانهم رائحة كريهة حثاً وبرسولون شعرهم حتى يصير طوله اقل من قروذ ويرموه
من وراء حصلاً صعبرة لولية ويجمعونه على النود كندماء المصريين والحام
قصيرة حنينة وليس في العارصين شعرة التة ويقتلون شعر شوارهم واهدانهم
وهم اشداء طوال الاحسام نجمان حشان الطباع . وشارة السب عديم ثلاثة
جراح تمتد من الخواحب على الصدغين الى قرب الدق ونارة تكون حرحاً
مثل تلك الخطوط تمتد من الجبهة الى الانف والرجال بلونون هذه الحدوش

بالأسود والساء بالاررق ويصغر على ذلك خطوطاً صغيرة تحت الاعين
ويفرقون بين الثنيتين بسكين حتى تصير بينهما من الاعلى زاوية فارعة وكههم
يحاولون تطويل آذانهم

ولباسهم جلود الحيوانات الا الرؤساء والاغنياء فانهم يلبسون الفضة
والاولاد يقنون عراة والصبا نقي صدورهن مكشوفة والرضع تحملهم الامهات
على ظهورهن واما الحلي فيرغمون منه اللائى الكاذبة ولا سيما الحمرء والبصبة
الشكل الكبيرة ويعلقون في قلاندهم حرراً وصدقات واسنان فرس النهر والذي
لحيته كثيفة يعلق بها اولادهم . وفي اصابعهم يجعلون خواتم صعبة من نحاس
وفي معاصمهم اساور من اسلاك نحاسية مجدولة وعلقون ايضاً احراساً صغيرة
من نحاس وابايب من عاج . وفي الاسفار يتوتخون فرس جدي واذا اقاموا
يبدلون فرس صغير فيه طلاس من بركة المحن

ومن عاداتهم انه اذا قرب وضع المرأة تذهب الى غيصة وتلد ثم تحمل الطفل
معلقاً بمجد ماعز وتحمل ايضاً حملة من الحطب وتاتي الى بيتها . وقبلما تلد النساء
فاذا انامت واحدة قبلوا احد التوأمين فتعوض عنه الام بكريب ثلثه وتخصه
بصبغة من الفوت . ومن عاداتهم في الميراث ان تركة الرجل تكون لاولاده
من آمنه لان اولاده الشرعيين لم اقرباء فلا يهتمونهم . ويربون الولد على رعي
المواشي فاذا بلغ السنة العاشرة من عمره سي راعياً معنى فينخذ لنفسه كوخاً وبررع
قطعة من الارض تبعاً وقد استغل

وعادة السات ان يقيم في بيوت آباءهم الى ان يدرك سن الزواج
فيجتمعن لمات كل لمة اثنتا عشرة ويسون لمن كوخاً مفرداً وهناك يعشن
على هوى النفس ويندلان لمن يجنار فليس ثم علاقات عائيلة صحيحة

وفي كل قرية مجلسان كبيران احدهما خاص بالرجال يجتمعون فيه للعب
واللعب والمسامرة والآخر للنساء . ويكونان احسن وامن ساء من سائر البيوت
وفيها الفوش والطلاس على الباب وغير ذلك من الامتيازات

الفصل الرابع

في ما جرى لبرتون وسيلك بعد ذلك

في ٥ شباط سنة ١٨٥٨ ركب الفيروان طريق العرب قاصدين بحيرة
تعايقا وكان برتون يشتهي ان يستنربها وفي هذه المرة وصف برتون احوال
الفواصل التي تعاطى التجارة الافريقية قال . هذه الفواصل التي تحوب شرق
افريقية ثلاثة اصناف منهم من يكون من اهل اويا موازي حاصة ومنهم من
العبيد الماموبين والباقون من العرب وقافلتنا من هولاء على الاكثر لكن
الفرق انه لم يكن معنا من اهل بيوتنا عدد يذكر . فوقت الفجر عند صباح
الديك امرت نعتي العواينة ان يصرموا النار فلبوا في الحال وشرنا الشاي
والقهوة (عند وجودها) واكلنا اقراصا معمولة بماء الرر ونحو ذلك وكان
الحرس حينئذ يصرمون الوقت بالعناء وهم حول حلقين على نار عظيمة يتعلمون
بالقول المخصص وشرب الشبع ونحو ذلك

وبعد ساعة اخذ الخمالون ينصرون من الرحيل وكانوا المارحة قد وعدوا
بالتشير صباحا لكن بعد حرّ النهار قرسهم البرد في الليل ولا سيما صاحبا
فتسكوا الحصى . وكان كثيرون من الباقلة اصحاب كسل وتوان وياتذون
بالترد والعصيان فاذا اتفق ان يكون رايهم الغالب يلتزم السائح الاقامة ولا
فقد يتيسر له حملهم على الطاعة فيصبحون ويصمرون بالشبانات ويغنون

بالانفاق ويقولون هلا الرحيل . الرحيل . ارفعوا الانتقال احصروا الدواب
وهلم حراً فيأخذون في الناهب ويحمل رئيس الجمالة حملته ويرفع رايته .
وتكون من حوخ احمر قد خرقتها الاشواك وهي حاصة علامة الآتين من حمة
زنزبار

وبما يكونون في الطريق تكون حللتهم مرتفعة ما بين خصومة وغناء
وصغير وتلبد اصوات الحيوانات وغير ذلك ويريد هذه الصحة رجوع الصدى
من الوهاد المناوحة للطريق . وعند الصبح اذا وجدوا فيئاً يطوي رئيس الجمالة
رايته ويغف النفر اشارة الى الاستراحة فيضعون الاحمال . واذا استنطال المسير
الى الطهر ينجى الحر اولئك المساكين فيعيون

فاذا كان المساء لجأ كل منهم الى المكان الذي يجتره اللببت تم يستعملون
في تهيئة الطعام فيلتهم العبيد الطعام النهاية عجيبة حتى انهم ياكلون في ساعة قوت
اسوع . والذي ينسظم قول الداعي . الى الطعام . الى العلوفة . فيتراكصون
بجمبة شديدة

وعند طلوع الفجر يصربون الطبل فيمنع فتيان الفرى المحاورة والبنات
حول المكان ويأخذون في الرقص . والحركات التي يعملونها عجيبة جداً لكن
الظاهر انها لا تنعمهم . وبعد ما يوتر فيهم الكل ينطرحون على الارض لينفسوا
نفس الراحة . ثم يجلسون فيأخذون غلايبهم وينعمون حول الدار باعاني
خاصة . وبعد ذلك ينامون وقد تسهر النساء الى نصف الليل يشعلن
وتأتي يوم وصلوا الى قرية مسيى من بلاد اوسموة التي فيها مسيرهم وفي
هذه القرية تمكث القوافل التجارية لصعدة ايام فآذتهم الامطار العربية ورطوبة
البلاد حتى لم يلبعوا قرية قد شنتري الا وقد اوى المرض قوة رتوت وذاق
عذاباً اليماً من شدة الاوجاع في كل حسده حتى قال انه راي الموت عينيه
ولم يستطع حراكاً وقد الحس من رجله فلم يكن يشعر الا بوخر الاسر الكثيرة
وخدرت يده خدرأشد بدها حتى يس من الحياة وهو بعيد نحو شهرين عن

اهل الصاعقة الطيبة ولم ينه الى عاية رحلته . لكن بعد عشرة ايام استطاع ان
يركب حماراً وقص في الطريق مشاق لا توصف بين الحمال والادوية والادعال
والانهار والحمر والبرد ونحو ذلك

تم قطعوا نهر ما لاجراري الذي يصب في البحيرة المنصودة وتعالوا عانة
ولعلوا هصبة يمتد منها الطر الى مسافة بعيدة ثم غير الدليل خط المسير فجأة
قال يرتون فمطرت في البعد وراء الهصاب في فجوة تساعة خطاً لامعاً لم اميزه
لضعف بصري وما اعترض من الاتحار فسالت ما يكون هذا فقبل هذا ماء
البحيرة فاسمت اشد الاسف على هذا العناء الذي تكلفته لارى قطعة خيرة من
الماء وعمرت على الرجوع قاصداً ان ابلغ بحيرة بيانزا العلي اسلو برويتها بعض
انعامي . لكن تددت عزمي وقلت انقدم مسافة اخرى لارى ما تكون النتيجة
فاشرقت نعمة من قبة اكمة على البحيرة المنصودة اي تعانينا فانجلي لذي منظرها
الحليل العجيب فنزلنا في طرق متعرجة بين الهصاب المستوعرة الصلة الى ان
ايعنا البحيرة فرايت بعض ناططها رملياً والعص مكسواً بالاشجار والخضرة وبني
سججة صافية ررقاء تهبه المنظر ونهر الجمال من ورائها كالسور المنقطع بعضها
اررق وبعضها ملطح بلطح بضاء من الصباب وبعضها معتنى بالسحاب وتنتهي
عند الشاطئ ، فنارات (اي اكام مفردة) مستديرة ويدخل فيها منها راس
مستطيل باني من ورائه نهر ما لاجراري وبيص مباحة الوحابة في البحيرة . ورايت
فيها بعض جرر وحوها عدة قرى لكل قرية سائين وزروع حسنة والصيدون
يطوفون قواربهم على سطحها

وفو النبات هناك غريب واشتناك الاشجار والعشب والوعوج العجب فلو
كان في خلال ذلك ابنة حسنة وقصور وما شاكل ذلك لكان مطر تلك
الفعمة من الارض اجل والهخ ماطر الدنيا . فانتهج قلبي جداً بلوغني هذه البحيرة
الجليلة الشأن حتى سببت الانعاب التي قصبتها في تلك القفار والمناقع الهائلة
وكان كل الناس مسرورين معي حينئذ حتى اخس العبد

وموقع هذه البحيرة بين الدرجة الثالثة والدرجة الثامنة من العرض الجنوبي وقرب الدرجة ٢٧ من الطول الشرقي من هاجرة غريوتس طولها نحو ٢٠٠ ميل انكليزي وعرضها بين الثلاثين والاربعين ماؤها عذب وفيها شيء كثير من انواع السمك لذيدة الطعم وعلى شاطئها الشمالي قبائل الواويرة والوارندي وعلى الجنوبي الوائمة. ومناطعة اوجيجي حيث وصل ريتون وسيك على شاطئها الشرقي على مسافة نحو ٥٤ ميلاً من ساحل زيربار ومدة السفر كانت ٢٢٢ يوماً وفي ١٤ شباط سنة ١٨٥١ ركب ريتون وسيك وخواصهما فلكاً عربياً من قرية اوقارشجة فاجتاز بهم البحيرة في ثلاث ساعات الى قرية قاوولي اكر قرى اوجيجي وزلوا وانلقوا جهوراً عميراً من السودان محدقين بانصارهم اليهم كأنهم مذهلون ومع ذلك يصحون صحياً عربياً ويتربون الطول ثم زلوا مارل العرباء على شاطئ البحيرة فكانت الرطوبة هناك لا توافق صحة السائحين فلم يتعافوا تماماً

وبلاد اوجيجي تحسب احسب تنوع في ذلك القسم من افريقية لكثرة نباتاتها وشدة نموها الطبيعي وكل النباتات التي تحتاج الى شغل في غير اماكن لا يتكلمون لها هناك شيئاً وهناك كل انواع الفول والفاصوليا افريقية تقصد من الاطراف وهناك ايضاً انواع الحيوانات الكبيرة كالغزل وقرس البهر والتمساح والحاموس وكلها كثيرة العدد ومن الكواسر الصع والكلاب البرية الوافرة جداً. والطيور المائية تعيش من سمك البحيرة. وتكثر الحيات والضفادع والغنار والتمل الابيض والاسود والعماك وكثير من الحشرات الكريهة والهوام فتملأ المارل حتى يكره الانسان الاقامة معها وزد على ذلك الدباب القنابل للبهائم وهو الصبي

واهل اوجيجي اشداء السية حالكو السواد وابديهم وارجلهم عريضة جداً وحرركاتهم عنيفة قاسية ونظريهم حاد وكل اطوارهم في عاية الحشونة والجفاء. والنساء يتصان بالوقاحة ان يدخلن منازل العرباء ويستلبن ما تنال ايديهن

ما يروق لظنهم . وكلهم يدهمون اندانهم بالريت ووحوهم وشعورهم برعومها
 بالمرة او الحواري فيكون مظهرهم من اسع ما يتصور ويستعملون ايضا الوتم
 والروساء يحبون الثياب الملوثة بأحسوبها من العرباء ناي وجه كان وساء
 الاغنياء يلبس ثيابا زرقاء او حمراء واما الفقراء فيلبسون جلود الحبوات الدربة
 ولمسائهم منرر مسوح من لحاء الشجر . وحليمهم فلانئد الحرز والعاج والصدف
 واساور وحوام فارية . والسلاح قوس ورمح وقسي كبيرة سهاها صحة ثقيلة
 والسادق بادرة الوحود ولا تكون الا عند الروساء

ومن طعمهم الوقاحة والرقاعة والطع والتهم على لغة العرباء واعمالهم واذا
 خدموا العرب خذبة حنيرة يطالبون احرة فاحشة ولا يجترمون الصيف
 ولا يراعون حاشب الاسابية ويتعودون الشر والحماء من الصعر ويستعملون
 العص والتعيس كالمرة الدربة ويكثررون من شرب المسكرات والاطعمة
 الوحمة ولا يبالون بالنظافة

وكان حاكم قاولي شرسا مستندا حاشي الطع فاني بنون وسيل منه
 خشونة عاقبها اياما لانه مع كل احداں بركهما فلكننا لاستقراء المخيرة وفي
 تلك المدة تحسنت صفتها واحيرا اتجهما في قارب الى جزيرة قيورة حيث بنيم
 رجل عربي اسمه حميد بن سليمان فاعطاها تينورا يطوفان بها

وقال سيك كانت تلك العاقبة مبيدة لصفتي لاني كنت اواطى على
 الاعنسال والنزاه بالهواء الرطب مساء وصباحا . ومن عادتهم انهم يضعون في
 المكان الذي يعتسلون فيه من المهر فروعا من شجرة خاصة يعررونها في نعر
 المهر على مسافة خمسين بردا من الشاطئ ويجعلونها كالحظيرة ويعتقدون ان
 التماسيح لا تدخلها لانهم يحسسونها طاسما

وكنت وقت الظهر آخذ تسميتي واقصد السوق لاستبدال الصنائع ونفام
 السوق من قبل الظهر ساعتين الى العصر قرب الملبا . يسون بعض اكواح
 من اغصان وفروع ثم يقو صونها كل يوم . ويبيع في السوق السمك واللحم والنبع

وريت النخل والمسكرات والمطاطة والحرسوف والفول وقصب السكر وكثير
من البنول والعاج والعبيد

وفي ٢ اذار ركب سبيك رورقاً مصوغاً من حدع شجرة منقور وكان
يصحبه عشرون رجلاً ففصوا اول ليلة عد الشاطئ تحت المطر الشديد
والهيار بعدها كذلك ثم تقدموا على الشاطئ العربي من البحيرة وكان الساحل
هناك مستوعراً كثير المضارب والادعال وهي محطة بالنقطة الشمالية من البحيرة
ومثل ذلك عند مصب النهر وهناك التماسيح وافراس الماء مكترة كانت تنظر
اليهم نظراً جامداً وهي تنهمق ونفخ حثفاً

ثم احتاروا عرض البحيرة ولعبوا مجموع جرر قرب الشاطئ العربي
اكرها قبويرة ثم قاسحة وفابيزية وطول قبويرة خمسة اميال وعرضها ميلان
وهي كثيرة الشجر والسكان وتكثر فيها الدرة والبطاطة والطير واهلها يلبسون
خلود الفروود السود والهررة وغيرها يتدوونها ربار على وسطهم ويجمعون جلد
الراس يتدلى من الامام والذنب من الوراء . وهم من التطفل على اعظم حاب
فوق حشونهم ثم رجع سبيك ولم يتيسر له استئراء الوحد الشمالي من البحيرة فعزم
رتون ان يفعل ذلك وقد سمع الناس يقولون ان نهراً كبيراً يخرج من تلك
الجهة وينج تمالاً ونعب حداً مع الحاكم حتى اعاره رورقين على شروط فاحتة
فكان في احدهما رتون والحاكم و٢٢ رجلاً للتخفيف وفي الآخر سبيك وجماعة
من النوبة وقصدوا المضي الى سوق عويرة في جهة الشمال العربي من البحيرة
حيث يغير العرب بالعاج والعبيد . فمروا على الشاطئ الشرقي الى جهة الشمال
وكان الساحل كثير الجمال والحصرة ومن مسافة الى اخرى تصب مياه السهل
الى البحيرة من محوات الاودية البديرة وهناك منازل خيرة للصيادين مبنية
على شكل خلايا النمل وليس في المنزل الا الثلاث الاثاني وحصير بنام عليه
اهله . وهم يجلسون وقت الراحة في ظل الشجرة ويعلمون فيها شاكهم
وعادة النوبة هناك انهم ما داموا سائرين يلازمون الغناء والصغير وضرب

الدوف فيكون لهم صخب مرعج ألا اذا جاس ماء البحيرة بالريح فيصمتون ولا يحسنون التخفيف وايدتهم ثقيلة بحيث يثقف المذاف الماء الى وسط الفلك فيمال ركانه وكثيراً ما اشار عليهم سبيك وعلمهم كيف يقومون حركاتهم في التخفيف يلم بالواو وكانوا نارة يحذفون بعنف شديد حتى تستط قوتهم ونارة يتواون حتى كانهم يتساون تحريك المخذف . ونارة يتصادم الفلكان فينشأون وينهارون ويقذفون الكلام الحشن المالموف عمدهم وفي فترات كبيرة كانوا يقصون الوقت للاكل والشرب والتدخين وكلما سلعوا قرية نفع بينهم الخصومة لان العص يريدون الوقوف والعص يطلون النسم ويكون رئيسهم حالسا في احسن موضع من الملك لا يقوم بامر ولا ينهي الا نادراً فاذا دنا الملك من الشاطئ يتواتب الدوتية من غير ان يسنادوا . واذا قصدوا الميت في مكان يترقون بعضهم للاحتطاب وبعضهم في طلب الراد وبعضهم يسون الاكواخ من اغصان الشجر وسنائف اللحاء على هيئة نصف مارحة ويسع الواحد خمسة اشخاص الا ان ارحلهم تنق حارحاً . وبالاختصار لم يكن لهم في اعمالهم قانون قال برتون وفي ١٩ ادار احتزبا البحيرة وبلغوا الساحل الشرقي من حريرة او واري ثم دربا حول النسم الشمالي من البحيرة واقما يومين في الساحل العربي بين الرياض والحائل . وكما سمع ان الناس هناك ياكلون لحوم البشر فعلمنا ان ذلك ناتج عن شدة المافقة والكسل في العمل وجهل الزراعة مع ان الارض شديدة الخصب ويلجأون الى اكل الجردان والرواحف والحشرات ياكلونها بيئة لشدة كسلهم وهذا يدل على انهم لا يامنون من اكل لحم البشر بيئاً ايضاً وهم في اسفل درجة من سلم الانسانية ياكلون الجيف وجثث الموتى اكثر مما ياكلون اللحم الحي

وفي ١٦ امنه قطعاً ورعاً آخر من البحيرة وبلغنا عوبرة على شاطئها العربي فوجدنا اهلها اصحاب انس وعواصاة الغريب فازدحموا علينا ورحبوا وسلموا بالاصوات والآلات تسليماً عظيماً فكافأهم اصحابنا بمحملة رقص وغناء في حيز

الرزاة والوقار وهكذا بلغنا آخر محطة تجارية من ذلك النظر فربما هناك
العاج والعبيد بكثرة بوتي هذه الصناعة ونحوها من أواسط افريقية وتدل
التبع والمحز والنياب الأوروبية . وعلمنا شيئاً من الموانع التي تعترض التجارة
في خرقهم ذلك الحد

وفي ٢٨ نيسان راربا اولاد السلطان مارونا الثلاثة وكانوا تسافراً ظرفاء
استدء ولم رشاقة في الحركة المدنية ونظام في الهيئة والاعضاء وعيوب برافة
واسنان كالآلئ الثنية وفي اعماقهم ومعاصهم قلائد واساور من عاج فسالتهم
عن النهر العجيب الذي يخرج من اعلى البحيرة فقالوا انه موجود لكن يدخل
اليها وقد راوه ووافقهم المحاصرون بشهادتهم

فتعجب رنتون من ذلك وكان يظن ان ذلك النهر من حملة يباسع النيل
ماحتهد كثيراً في اقناع رفاقه لينتدملوا الى ذلك الطرف من البحيرة فلم يقدروا
وقالوا لهم بمخافون من آكلة لحوم البشر وحشوتهم هناك فعادوا الى قاولى
ووصلوا في ١٢ ايار بين العوارض الشاقة . ومع ذلك افادت هذه السمرة رنتون
وسببك في صحتها وان كانت قليلة الفائدة في مقصدها . وفي ٢٦ ايار بعد
انقطاع الامطار حرجا من اوجي التي لياها استد العماء وقصد المسير في
طريق فارة . وبلغاها بعد ٢٦ يوماً بين الهم والكدر من تصرف الجماعة اي

الخصومة والغور والشرد والعماد والعصيان والفتق والشعب وهم حراً
وكان من حملة من صلب الجماعة حاكم اوبيا مؤاري وقد تآخر عنهم لانه كان
قد اشترى امة سوداء فاتق ان حرجت رحلها في الطريق فلم تقو على
المسير وراى انه مضطر الى تركها فنقطع راسها لئلا تكون لاحد غيره

ولما بلغوا قارة اقاموا اياماً للاستراحة ولفوا الحصى من صياقة العرب
ولاسيما الفاضل ساء من امير . وكان المرض قد احبب الجميع وعجز رنتون
عن المسير واما سببك فكان قد تعافى بعد ارادة الرحيل فعزم ان يصحب
مجموعة قليلة في الجهة الشمالية من فارة ليكشف خبر بحيرة يسميها العرب بيارزا

ويقولون انها اكر بكثير من تعانينا . فتخص في ١٠ تموز
وكان طريقه في خط شمالي مستقيم في نحد سليم الهواء ارتفاعه عن البحر من
٢ الى ٤ الاف قدم وفيه من المقاطعات اوبيا يبي واوبيا مبيوة ووامدة وسلاوى
واوسوقوما والارض هناك منها سهول ومنها جبال ومنها وعور ومنها رمال
ومنها احراش ومنها مراعي . وهم حراً واهلها عديدون اشداء .

وحينما صاروا في بلاد اوسا حاري التفتوا فافلحة اخرى آتية من جهة البحيرة
وسلم الدليلان احدهما على الآخر تسلياً استعربه سبيلك وذلك ان العادة عندهم
اذا التفت فافلحان في طريق واحد ان يتقدم احد الدليلين الى الآخر ويتباطأ
كالكماس حتى ينع احدهما فيسمع الناس صحكاً وترفع الحيلة ويجيد عن الطريق
الفيروان الذي علب دليله حتى يمر الفيروان الآخر

وفي بلاد مسلاله توجد مناظر طبيعية جميلة ومراعي حصية تسرح فيها
قطعان النمر الكبيرة واهلها عدد غدير . وبلاد اوحوحو الواقعة على طريق
الفاصد الى اوحيجي موصوفة ايضاً بكثرة السكان لكن يكون السودان على
حامي الطريق مردحمين اردحاما عطياً حتى لا يمر ابناء السبيل الا يجهد لكثرة
تظلمهم وذلك لانهم قلما يرون رجلاً ابيض فيدهشون اربعة من يمر من هناك
من الميص

قال سبيك ولما فارقنا قرية من متاخمة سلاوى في ٢٧ تموز رايانا بعنة
عموداً من الصخر الجوبي شديد الارتفاع وعند اسفله قطع عطية من الصخور
فتمعت من هذا المطر الطبيعي وكيف وجد هذه الهبة في تلك الافطار . وبعد
ان سرنا غاية اميال رابت عموداً آخر اعلى من الاول يتجاوز كل الاتجار المحضة
به . وقد اتخذنا هذين العمودين دليلاً اميناً الى مسافة تساعة من الطريق
لانهما يشاهدان من بعد ثمانية اميال

ولم ير الى يتقدمون في تلك البلاد الحصنة المصرية الشائعة المماطر الكبيرة
السكان والخيرات عدة ايام وفي ٢ آب تجاوزوا قرية ايساميرو وبلغوا حصنة

سماها سيك سمرست

قال فلما رقبنا قمتها وقع نظري على بحيرة نياسرا الفسيحة الجواب الجميلة المنظر
ولشدة بعد الافق لم اقدر ان اقدر سعتها ولم ارا ايضاً طرفها عن شمالي لا عن غرض
مجموع جزر شامخة سميتها ارخبيل سعال ارتفاعها عن سطح البحيرة من ٢٠٠ الى
٢٠٠ قدم واما عن يميني فليس الا حريرة اوقير يوي تكون آخر ما يعترض
المنظر من جهة الشمال العربي وهذه الجزيرة وحريرة مزينة العين عنها نحو ثلاثين
ميلاً تظهر انهما الساحل الشمالي من الفرع الشرقي من البحيرة وكما يعرف اسم
الاولى لان العرب دكروا لما البحيرة باسمها والناية اكبر منها وتشكلها كطهر
الخنزير . والشمع يكثر في كل تلك الجرائر وتظهر قطع الصخور بين الادغال
كالحوم وتنعكس صورة كل ذلك في ماء البحيرة الصافي فليس احتمل من تلك
المناظر الابقية

ورابت السهل العظيم تحت الهضبة التي كما عليها مهرشاً بالخمائل والحداثق
والنرى متورة فيه بين الساتين النصيرة والخرق بينها كماها الماشي في روضة
لندن . واول قرية بلغناها قرية موازة وكاست غاية سمرنا وهي في مرج كبير
الرروع حسن الملاحه

ولكن كل تلك اللذة الطبيعية الحسية لم تقارب لذة فكري بشأن الفائدة
الجغرافية والتجارية التي طالما اجتهد الناس في الحصول عليها اي تصوري ان
هذه البحيرة هي ينوع الدهر العجيب (اي النيل . لان سيك حاول اظهار
كون النيل الابيض يستق من هذه البحيرة الكبيرة التي اكتشفها)

ولكن اسو حظ هذا الرجل وحط العلماء حينئذ لم يصادف اساً ولا مؤساة
من حاكم قرية موازة لمجة طواف البحيرة نعم انه احسن ملقاء لكن لم ياذن له
ان يركب فلکاً ويدخل حريرة اوقير يوي ولا التطواف في قسم من البحيرة
فاضطر ان يكتفي بتقريبات الاهالي وتجار العرب . فذكروا له ان البحيرة ممتدة
شمالاً الى مسافة شاسعة جداً حتى قالوا لانهاية لها ويخرج منها نهر اسمه قيرويرا

يجري على الصخور حرباً شديداً متجهاً الى النيل فاستنخ سبك ان هذا النهر هو عين النيل والصحيح انه لم يصب في رايه. وان على شاطئها من جهة الشرق بلاداً لا تعرف ارضها ولا اهلها. ومن جهة الغرب تتواصل الجبال التي تنصب مياهها الى بحيرة تعاليفنا شمالاً والنوازل العربية التي تسير من قازة لتعبر في مملكة قراغوة وواحدة تمر في بلاد دات هصاب ووهاد وافرة الزرع والصرع تشتهر انهار كثيرة وتنصب في بحيرة بيانزا

ومملكة قراغوة كثيرة الرطوبة والامطار فيها فصلان وتسلطن فيها ريحان كما في اوياماري الاولى مردوجة تنالها وسنالية شرقية واسمها عديم قسناسي. والناحية جنوبية تصحبها الامطار العربية واسمها قوسي ويكثر معها الرعد والبرق ويباشرون الرع في اول وقوع المطر كما يفعلون في مسبي ووججي يعزفون اولاً الارض الى عبق ويررعونها ذرة صفراء وحاورساً وغير حبوب واما الرز فلا يعرفونه اكثر زرعهم الذرة ويررعون ايضاً نوعاً من البن العربي اسمه موامي ويكون مرّاً حفيظ الست. والبول ايضاً صعبير الحب حذاً. وهذا البن لا يستعملونه استعمال العرب للتهوية بل يطرحون منه قصعة في الماء العالي ويشربونه اذا انحل منه جوهره. ويقول العرب هناك انه مهبج حذاً ومرطب وطعمه قريب من طعم فول محما

والفر عديم لها سام صعبير وقرون كبيرة كما في اوججي وعويرة ويعدونها بحساب الثيران الواحد منها ثمانية مائة نفرة وكان للسلطان حينئذ ٢٠ ثور عمارة عن عشرين الف نفرة. والمماشية اساس روية الاهالي واكثر طعام الاغنياء لبس الفر مزوجاً بعسل الجبال

وتوالي قراغوة بعد اجنيز نهر قانتجا يصل المسافر الى قرية قبيوحا فاعة مملكة اوحد وفيها مقام الحاكم وهي محط رجال العرب الاتيين من قارة نحو الشمال. ويقولون ان هذه البلدة اي قبيوحا مسيرة يوم طويلاً ومنازلها منية من القصب والقنا. وطول دار السلطان كيلومتران مولدة من الكواخ مستديرة

مصفوفة صفوقاً وإمامها سور من الاوناد الة اربعة ابواب على كل باب حرس
يدقّ عند قدوم الاحاسب وعليها مئات من جنود الحرس عليهم اربعة رؤساء
يداون كل يومين ويسبتون الليل تحت الطُرف اي الخيام من الاديم ينتظرون
امر الملك ويدلون حياتهم في خدمته

والحرم مولف من ثلاثة الاف شخص بين نساء واماء واولاد ولا يحس احد
ان يتجاوز البرزة وهي قاعة الملك للاستقبال واحراء الاحكام والطر في الهدايا.
قيل وكثيراً ما تحرق الصاعقة منارل الملك فيلنزم الجنود ان يطفئوا النار
باحسادهم بطرحون وينقلون عليها حتى نحمد. وعدد الجيش لا يكون اقل
من ثلثمائة الف واذا عرض يجب ان كل حدي يقدم بضة. ولكل منهم ربح
وحرثان ومرراق وترس وليس هناك سيوف ولا قسي

واذا مشى العسكر للحرب نعتة النساء والاولاد بالراد والماء والسلاح.
واذا اشتبك القتال بضربون الطبول صرّاً مستمراً محالماً ينقطع صوتها بهرمون
ولا يزال اهل اوجدة في الفس مع حبرانهم الوايورو والواسوطة وغيرهم واذا
خمدت نار الحرب مدة يحاول الملك وحود علة ليكنتم بعض اللاد ويعيث
وبهب ويقتل وياسر حتى يملأ خزائنه من الغنائم. ويكثر من التل صرّاً
حتى تكون ايام يقتل فيها كل دفعة عشرون شخصاً معاً

وكثيراً ما يخرج الملك للصيد ويلزم حوده ان يفانلوا الوحوش بلا سلاح
ويعلموا القيل بكثره العدد فقط واذا دخل قرية يصيح صيحة فيجيبها اهالها بصوات
المير والشماعات ونحوها من الآلات

والآخر ملك على عهد رتون وسبيك كان يقال الة سنة مات سنة ١٨٥٧
كان يكنز من عرض عساكره الجراة ويحلس على باب بلاطه ويده اليه
حرية واليسرى سبر مربوط فيو كلب صم الجئة وكان يحب صراع حنوده ولا
يرالون يتصارعون حتى يقتل بعضهم وكان ينجو حظيرة بررب فيها الساع
والفيلة فاذا حكم على احد بالاعدام يطرحه لديها فترقه وتترسه. وكان يحب

كل ما فيه غرانة

ويقول العرب انه كان احمر قوي النية مهيب المطر يخلق رأسه ويرجي ذواته ينظم فيها الحرر واللولؤ ونحو ذلك . ولا يسمع بذلك لغيره . ومن ماموري بلاطه الشحنة يتصرف في امور البلد ويسود على اصحاب الولايات ومهم القائد الاعظم تحت امرته جنود الحرس والعبيد والعسكر ووثاء اللطاف والقضاء في العاصمة بيد الملك وفي الولايات بيد بوابه . والنصاص عديم عرامة او قتل ليس الا . والذي يحكم بقتله اما ان يصربوا عفته او يجرقوه او يسلموا جلده حياً . واذا مرّ احد المخربين تخرب قريته كلها ويذبح رجالها ويقتل نساؤها

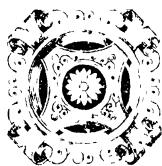
وليس لاهل تلك البلاد شيء من العطفة والهم وانق يوماً لسبيك انه جعل يسأل احدهم عن امور بسيطة كاسماء الاعداد والملاذ ونحو ذلك فنصى الاعداد من قلة فهم وحسوبة طبعه وذلك يظهر ما ياتي

قال اردت يوماً ان استنهم عن هذه الامور فكان الكل يترّون مني او يتنون كاتهم صم كم فسالت واحداً عن اسماء الاعداد في اعينهم وقت له اصبع يا اخي نحن نسي الاشياء بلغة الساحل بحسب ترتيبها هكذا واحد اثنان ثلاثة الخ وجعلت اشير باصبعي الى بعض اشياء موضوعة بترتيب لعلهم بهم ما اسألهم فكان يقول لي . هو هو . نحن نقول اصبع . فقبل له ما هد ما يسالك الرجل الابيض بل يريد ان يعرف ما تسبون الواحد والاثنين الخ فيقول واحد اثنان ثلاثة اي شيء . من العنم ام المعرى ام النساء فقال الترجمان اي شيء كان ليكن والمراد ان يعرف كيف تقول واحد اثنان ثلاثة بلغة وابوقا . فقال هي هي . وما يريد الرجل الابيض من الوابوقة . وهكذا بقيما مدة لا تعرف ان هذه المراد اشدة غباوتهم

وفي ٢٥ آب رجع سبيك من رحلته وقال يرتون واخبره انه راي معص النبل فلم يصدقته وطال الجدل بينهما حتى قصدا الذهاب معاً ليتحققا الامر

فجهرا قبر وانا وسافرا وقصيا مشقات كثيرة وهرب كثير من العيد وراد نسكي
الجمالين وتمردهم واصابت الحمى سبيك في قرية حجة لشدة برودة الهواء الشرقي
وصمت احدى اديبه والنهت احدى عينيهِ وانفخ وجههُ واستولت الاوجاع على
جسده وكانت النوب شديدة جداً حتى خيل انه حن وتغير جداً حتى قيل
انه لا يعيش وفي بضعة اسابيع حتى تعافى شيئاً

وفي ١٢ تشرين الاول خرجوا من حجة التي كانت نحساً على سبيك ليرجعوا
الى الساحل وكان ذلك خاتمة هذه الرحلة المهمة فصوا من اوجوجوا الى زنجوميرو
في ١٩ كانون الاول وفي ٤ اذار سنة ١٨٥٩ دخل رتوون زيربار ومهما
مضى في ٢٢ اذار الى عدن ورجع الى اوروما . واما سبيك فبلغ انكاثرا ولم
يشفِ عليه فكتب رحلته ورجع ثانية لاكتشاف بحيرة بيانزا وينابيع النيل .
وهكذا كانت رحلة رتوون وسبيك من احل الرحلات تسائلاً واعظماً فائدة



الباب الثالث

في البحث عن ينابيع النيل الابيض

— — — — —

الفصل الاول

اهمية هذه المسألة - الهمر الابيض - خرطوم الرحلات المصرية
- برون رولى - النجار والمرسلون

اشترنا في القسم الاول من هذا الكتاب اشارة خفيفة الى اهمية المسألة المتعلّقة
باكتشاف ينابيع النيل . وفي هذا الباب راينا ان بشرحها ترحّاه مستوفياً . فنقول
ان هذه المسألة قد شغلت خواطر العلماء مد أكثر من عشرين قرناً غير ان
البحث حرى فيها محد ونشاط مد نحو نصف قرن
وكان هيرودوتس المورخ اول من تكلم فيها ثم بينها بطليموس بعض
البيان واشتغل بها قيصر الروماني وجيولافو العرب والبرتوغال فكثرت عن
مقدرة البشر وزادت اهمية في خلال الاعصر الماصية . وقد سبكت دماء كثيرة
وهلك في شأها جمع غفير من المعرّزين بانفسهم ومع ذلك لم يصعب عزم اولى
البسالة ومحيي المعارف ودلوا الجهد وخطروا بالنفوس والمال وما اسكوا حتى
حلوها في السنين المناخرة

فهذا الهر العظيم الجليل الشان هو السبيل الوحيد لسلوك التمدن في
اقطار افريقية الوسطى فيه اتصل المرسلون الكائنون اليك الى قرب خط الاستواء
وبواسطته عرفت القبائل الكثيرة البربرية وعوائدهم واخلاقهم واعمالهم وهلم
جراً وقد وجد المباحثون السافرون يتقدمهم في البلاد ان الليل محاري كثيرة
تصم اليه من اكثر جهات افريقية الوسطى بعضها يتصدر من بلاد الحمشة
الحالية وبعضها يشق الليافي جنوبي دارفور والهر نفسه يتقدم كثيراً نحو الجنوب
وهذه الجداول المذكورة وسيلة للانصاليات التجارية في تلك الانحاء . ومن احص
اصناف تلك التجارة العاح والصنع وحاصلات الاقطار المدارية وكلها تنبع
فيصاً على السودان ومصر . وكل نعمة اكتشفت على صفاء الليل كانت واسطة
نجاح عظيم للتجارة حتى اذا قام بها الناس حتى القيام تكون من اكبر وسائل
الجماع الادبي والمادي عند تلك الامم . وقال سيبك اذا كان الليل يشق حنيقة
من البحيرات الكبيرة التي يكثر في انحاءها الفطن والليل وقصب السكر واللب
والنوع والماشية الوفيرة من ثمر وعمر وعبر ذلك فلا مدان السباحة في المستنق
في تلك الاقطار ناتي بنوائد حمة

والليل اصلان عظيمان كما هو معروف الآن بمخضعان في الدرجة ١٥
والدقيقة ٢٠ من العرض الشمالي فالشرقي منها يقال له البحر الاررق وهو
معروف معرفة جيدة يتصدر من جبال الحمشة وينزل بتلالات كثيرة الى سهول
السودان الشرقية فيأتي بالمحرق الجنوبي وهو الليل الابيض . وكان الاوروبيون
لا يعرفون عنه شيئاً حتى سنة ١٨٤

وكان العلامة روس قد وصل الى بسايغ النيل الازرق سنة ١٢٧٠
ووصفها وصفاً مدقناً لكن سبقه الى ذلك راهمان رتوعاليان اسم احدهما نابير
والآخر لوبو . فإراد روس ان يخص نفسه دونها بفضل هذا الاكتشاف
وطعن فيها وافسدا ما كتبه ونسب كل شيء صحيح الى نفسه لكن طهر الحق بعد
ذلك وعرف ان الفضل كان لماير

وعلى ملتقى النيل الاررق والنيل الابيض قائمة مدينة الخرطوم . وينتشر
 النهر بعدها حتى يكون كالبحر الراكد يشفّ عن زرقة الجوّ وأشجار ضفتيه
 وإذا كان موقع الخرطوم اجل مواقع المدن السودانية واليمنية كانت اهميتها
 التجارية تدعو الى ازدحام الاقدام بها فيوتى اليها بالنيل الازرق بمجاولات
 سار والحشة وكردفان وغيرها والنيل الابيض بمجاولات افرقية الاستوائية
 فتكون السفن عندها مائة النهر في مسافة اربعة كيلومترات ومنها نوع يقال
 لها الذهبيات وهي كبيرة بيضاء الفلوع تفيض بها العاج وقرون الكركدن
 والصنع والقطر ورمل الذهب والسا والاششاب الثمينة وريش النعام وجلود
 البقر والذرة والعبيد . فترى من الناس هناك اشكالاً والموانئ سودان
 وعرب وافرنج ومصريين على اختلاف اربائهم وهيئاتهم . وحول المدينة على
 النهر سائتين نصرة ساعة الطلال كثيرة الاطيار طيبة النار بين عنب وتين
 وليون وغير ذلك وفي النهر هناك جرر صغيرة يررعون فيها النواوون
 والطيج ونحوها

وفي الخرطوم جهزت الحريدة الاولى المصرية بامر محمد علي باشا فرحلت
 الى جهة الجنوب في ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٢٩ . وكانت مؤلفة من اربعمائة
 رجل من العسكر المصري المقيم في سار . فركبوا من السفن خمس ذهبيات
 كبيرة ارسلت من مصر وثلاثاً اخر اخذت من النيل الازرق وخمسة عشر
 رورقاً فيها الدحيرة ولم يكن معهم من الاوروبيين الا رجل واحد كانت الرحلة
 محصورة به واسمه نيوفلم يصادفوا نوحاً ولا اتي هو مؤائد جغرافية تستحق
 الذكر . لانهم سافروا في ايام شديدة الحرّ وتكلموا بصاريف فاحشة فاضطروا
 الى الرجوع قبل بلوغ الدرجة السادسة من العرض . لكن عرفوا بهذه الرحلة
 حجة محرمي النهر والاقطار التي يستقيها . وذكر بعض مقدميهم انه اجتاز بلاداً
 قليلة الجبال ترى فيها نارة غياض كبيرة ونارة سهول فسحبة مفعبة كثيرة النصب
 والاعشاب العالية . وعلى صفتي النهر في تلك البلاد قرى مخلفة المنازل

باختلاف الفئائل . وبعض اولئك الفئائل اصحاب طمع وحرص وتزدد
وخبث كالشلق والوَر والعُض اصحاب دعة وسكينة ومواساة للعرماء

وكان الجلود المصريون حينئذ يحرقون السودان لدناءتهم وحقارتهم
فاساؤوا التصرف معهم وظلموهم وجاروا عليهم في ما يملكون حتى نزع المساكين
بعد ذلك من مواصلة البص حذرًا من مثل هذه الاساءات . قال نيسو في
ذات يوم اتانا هؤلاء القوم يلح كثير وتعبوا ومعهم رماح وسهام وكان بعضهم
يرقص فقال الترجمان ان لهم نوابيا شريفة فكان قوله كافياً لان يذل فيهم
الضيف ويطلق عليهم الرصاص فقتل كثيرون وفرت شزيمة قليلة الى القرى
المجاورة فقتل العسكر في اهل القرى وعاص كثيرون منهم في بحيرة هناك
فرموهم بالرصاص حتى استحال الماء دماً وغشي سطح البحيرة عدد وافر من المحت
وفي ه شاطئ خرج الترجمان سدقته للصيد فرأى رجلاً ومعه اسان له
عمر الواحد نحو عشر سنوات والآخر اثنا عشرة وكانوا ينجسون الديو من
الرواق . فصاح بهم الحمدي فما احاسوا فاسرع الحظي حتى ادركهم فقتل الاب
واسر الولدين وهما يوحان

وفي ٢٢ مه رأى بعض الجنود رجلاً وامرأتين حاملين على رؤوسهم مراود
فدنوا منهم وقتلوا الرجل وسبوا المرأتين

وبعد هذه الرحلة ظهرت جريدة اخرى لاكتشاف ينابيع النيل وكان
فيها جماعة من الاوروبيين من حملتهم اربود وساني وورن وهم الذين كتبوا
التقارير الواقية عن تلك الرحلة . فصعدوا النيل الابيض في ٢٢ تشرين الثاني
سنة ١٨٤٠ . احد عشر فلكتاً كباراً وقطعوا مسافة ٢٢٠ ميريامتراً وبلغوا بلاد
باروشيري الى الدرجة الخامسة من العرض الشمالي . فارتفعت الارض هناك
وتعيرت المناظر وكانت الادعال كثيفة على صفتي النهر والارض كثيرة الهضاب
والسهول والمروج والقرى . فكان الاهالي هناك متمردين لكن احسوا الى
الجماعة وقدموا لهم لحماً وعاءاً وذرة وبيعاً من الشراب يسمونه جابا (اعلمها الجمعة)

واما الباري هذه طوال الثامات صخام الاحسام لا يلبسون شيئا من اللباس
بدنهون بالمغرة ويا بسون حلى العاج والحديد الا ان زعيمهم ياس قبيصا من
الحام الازرق . وهذا دليل على ان لهم اتصالا وراء الجبال الشرقية مع تجار
العرب الآتين من ساحل زنجبار

وكان الاهالي لما راوا العرءاء قد صاحوا وشعوا بقرون نثر الوحش
فاقبل زعيمهم المذكور وهو بهر راسه وعليه عتكلة كبيرة من ريش المعام وصار
برقص والحماة حوله يفعلون فعله وهم يصيحون ثم نزل ذلك لابرهب منكرا
واخذ ايدي رؤساء الجند وكان بعض اطراف اصابعهم علامة الاحترام ثم طلب
اليهم ان يقدموا له شيئا من الثمغ على سبيل التكرمة فقدموا له ثيابا حراء
ولآلىء كاذبة مختلفة الالوان وحرسا صغيرا كاد يطير سرورا نريد رتب
واطعموه شيئا من التمر واحسوه على طمسة فلما ارتحل احد الطمسة في جملة ما
اخدمهم ولم يبعوه . و ارادوا ان يتما سيرهم في المهر الى ما وراء الجبال فاعترضتهم
في محراء صخور كبيرة شامخة لا يركب المهر بينهما فرجعوا

ثم كانت رحلة اطون و أربود امادي سنة ١٨٤٦ الى حبوب الحشة
فاجملت بها غوامص كثيرة وبعد ذلك حصلت وسائط كثيرة انضج بها هذا
المر شيئا فشيئا وعرف نلاع البيل الابيض لكن لم تكشف مناعه معرفة منيرة
وطهر سهلا المسير فيه الى قلب البلاد المار ذكرها الكثيره الحصب الواقعة
الحيوانات . فاندت عيرة المسيحيين ونهضت بالتجار همهم وصارت تلك البلاد
نقطة ارتحال لجماعات كثيرة من مشرين وتجار

وكان من مشاهير التجار الذين اول من افتحوا تلك المخاطر برون
رولى فاني عن احوال البلاد بفوائد جلية وفي رحله تفاصيل كثيرة تنى عن
احوال الامم المحاورة للنيل الابيض وقصى في استقراءه مشاق كثيرة

وسنة ١٨٤٩ اشى مركز تبشير للكاتوليكي في مدينة حرطوم وعزمت لجنة
ان تقدم بالتبشير الى الدرجة الخامسة من العرض اي قرب خط الاستواء

فبلغت غندوكورو وفي المحطة الاخيرة التجارية على النيل الابيض الى جهة الجنوب . ووصل واحد منهم الى حريزة في مجرى النهر فيها حبل شائع كانه هرم كثير الشعر فرقى قننه واستشرف مجرى النهر فراه الى مسافة بعيدة تارة يتحدر من شلالات مستوعرة وتارة يتجمل الفيافي والقرى الى ان ينتهي صاعداً متعرج بين الجبال القائمة في الافق . وبالاختصار فقد افاد العلماء اولئك المشرون فوائد حمة شان الاقطار الدولية وانشأوا مركزاً آخر عند الدرجة السابعة من العرض . فبناء على تقريراتهم واحبار السياح من النجار نصف في الفصل التالي الهيئة العمومية الجغرافية لاقطار النيل وضفتيه وعادات الامم هناك

الفصل الثاني

— — — — —

امّة الشلوق - بحيرة النوء والور - بلاد الفطشة - النبات والحيتان
فرس الماء - صيد النيل - عادات واحلاق الدقة - الحيات

النيل الابيض يأتي من فوق حرطوم من الشمال الى الجنوب وطول مجراه اكثر من ثمانمائة كيلومتر وهو عريض جداً يجنوي على عدة حرر يعالو الماء فوق كثير منها ايام الفيض . والسمات كثيرة جداً في الجزر المذكورة وعلى الصفتين والغابات متسعة جداً مخفلة الازهار والثمار وتكثر فيها القروء والطيور بانواعها والحيتوانات البرية . والجزر والصفة الشمالية من النهر ملحاً للثمائل البربرية ولا سيما الشلوق وهم عبيد لصوص مختالون قساة جفاة عناء بركون

قوارب تسير بهم كالسهم وينقطعون الطرقات ويعززون الفئائل المحاورة لارصهم
ويباحذون كثيراً من مواسمهم فانهم يراقبون العرب المجاورين ليعرفوا ان
يوردون ماشيتهم فاذا عرفوا يجمعون في نحو اربعين قارباً ويسبرون ليلاً
على الصفة الاخرى من النهر فلا يراهم العرب . فاذا ابعوا مورد الماشية يجمعون
قواربهم بين الاستبصار وفي اخوار الحرر ويمكثون كامبين حتى ترد الماشية
فيقتضون عليها قواربهم وينزلون الى الشاطئ فيقتلون او يطردون رعاتها
اذا وحدهم شرذمة قليلة ويسلبون الماشية ويرجعون قبل ان يصل البحر الى
القبيلة وقد يحدث ان العرب يذرون بهم قبل هجومهم فيمكنون لهم على ضفة
النهر وعندما ينزلون الى النهر ينقضون عليهم ويأخذونهم عبيداً

ومارل الشلوق ممتدة سلسة طويلة على الضفة العربية الى مسافة بعيدة
حداً حتى لا يحصى عدد سكانها لكثرتهم وتفرقهم . وليس على ضفاف النيل
الابيض قبيلة غيرهم اذ عجم واحد تجمع له . يكون مقامه في دناب وممارلة تبلغ
المئة تسكنها هرمي . والسيادة اثرية في عائلته لكن ليس اسم الذي يحلته بل ادى
اقراره واول عمل يعمل حليته الاحتمال بدس حنته لان التريفة عندهم ان
حبة الملك المتوفي تبقى في بيت خاص الى ان ياتي الحبة ويدفنها

والملك مستقل مستقل في سلطته ويستولي على اولاد المجريين وسائهم
وتجارة العاج يده وحده ولا بدو منه احد الا راحاً وفي يده شيء من الخف
وهيئة الشلوق قبيحة جداً تؤذ بالنوحس ولا يلبسون لباساً الا السماء
وبلوس مآرر من جلود الحيوانات يسمى عندهم الرشاط والسمان يبالغون في
تزيب ابدانهم فيرسلون شعرهم حتى يطول حداً ويجدلونه ويلفونه على رؤوسهم
كالعمامة . وبعضهم يصع شيئاً كالشط من النما الى الكهنة يلفون عليه شعرهم
ومهم من يصع دائرة من ريش ابيض حول راسه على شكل الاكليل . ويجعلون
في معاصهم اساور من عاج يصنعونها بايديهم . ومن طمعهم العنق والاسناداد
يشغلون بالاراعة وتربية الماشية ولا يدعون لحكم اجبي لكن يسهل عليهم

ان يشتركوا الحلى الخامسة بولابهم

والصفة التي من المهر تمتد سهل فسهج الاطراف فيه بعض اكام مفردة
شائعة والسكان هناك ليف من ارومة قديمة كثيرة الزروع منها امة في اعالي
مجرى المهر تسمى الدقة

وفوق الدرجة العاشرة يتعطف النهر غرباً بعد ان يصب اليه نهر كبير
يقال له صونة لا يعرف اصله وكثيراً ما ركبه نهار العاج ورمل الذهب من
اهل خرطوم وفوق هذا المهر بمئة عشرين فرسخاً يخرج البيل من بحيرة لم يسط
تعبين حدودها يقال لها بحيرة النواصير في ايام الحر عديراً محاطاً بمواقع وفي
ايام الفيضان تتسع فتشعل مساحة كبيرة جداً . وفي هذه البحيرة يصب نهر عبر
معروف تماماً يسمى المحرافيون باسماء كثيرة كبحر العرال ومضلات وقيلق وبحر
العدي وهو يجري غرباً ثم شمالاً ثم جنوب غرب ويظهر بالتحقيق انه آت من
جهة الجنوب كالليل الايص . وبين نهر صونة وبحر العرال يسقي الليل بلاد
النور وبخلاف منطرتها اختلافاً عظيماً بين خصب الارض وحدبها وعامر وعامر
حتى يظهر ماء المهر اسود راكداً معطياً باليلوفر تنتشر منه روائح شدة وتكون
الغابات بعيدة عنه فلا ترى على مد المصرا السهول مكسوة بعشب مرتفع
والمناقع على الصفتين كثيرة الفضاء وبينها بعض اتجار . ونهر الابر الى بحيرة
الدوء اوجالاً كثيرة فلا تحدد شطوطها وتصل الاماكن العميقة منها بالسهول المحاورة
بمواقع عظيمة لا يمكن للانسان ان يصع فيها قدمه واختلاف الوصول نجف
بعض الفاع وتكون في بعضها قيعان محصنة . ويكثر هناك العوض كثيرة عجيبة
فيشتد اذاها على السباح في فصل الشتاء وعند عياب الشمس تهجم حيوشها المجرارة
على السفن فيخنى منها الناس تحت استار كالكمال (اي بالاموسيات) واذا
حلك الظلام يرى الحباحب (اي سراج الليل) كثيراً جداً . واما في الصيف
فلا يبقى للعوض اثر لدخول المياه المستنقعة التي يتولد منها لكن يظهر في الليل
منظر غريب بحر من البيران يتلاطم بالرياح فيخلل الاعتشاب الكبيرة

بحرارة الشمس وبحرقها مما فيها من الحشرات والرواحف . يصرمها الاهالي قصداً
لتنظيف الارض و ينبت حشيش جديد ترعاه المواشي . وايضاً لكي تنفر الوحوش
من هناك

وممازل النور على شواطئ البحيرة وعلى ضفتي خليج يقال له بحر الزرافة
وتنصل ايضاً سهر صوة حيث كانت منازل الدقة فطردوهم . وهم اشداء
تبعان ترهمهم القبائل المخاورة لهم من السودا . وشعلهم الفلاحة وزراعة الذرة
ومطرهم يؤذن بالهبة ونقاطيعهم معتدلة لهم ملامح الاوروبيين تقريباً . ويلبسون
على رؤوسهم قبعاً مخروطي الشكل يعش بالاصداغ والحرز وفي عنقهم قلادة
من الحزر ايضاً ويطرحون على اكتافهم جلد غر ويتنطقون بمطقة يعلنون
فيها حلقاً وفي معاصهم اساور من قطع عاج رفيقة حادة . ويرسلون تنعهم
ويطاولونه اطلاء احمر مع ايوته الروحنة ويجعلونه سطناً وهذا الطلاء يولف عالمياً
من رماد وروث الفر والبول يخلط بمعة ليكون احمر فيصعونه على الشعر
ويتركونه حولاً كاملاً ثم يحدونه بالساء يسعون ثمرراً من حلد وطوقاً من
حلد ايضاً واساور من حرز وحلاجيل من نحاس او عاج . والصابايا يلبسون
مئراً من ورق الشجر وبنفس السنة العليا ويعررن فيها ناب حيوان بطول
الاصبع مرصعة بخزر اررق وفي راسها لؤلؤة بيضاء . وهذه العادة تزيد شيوعاً
كلما تدمت الى جهة العرب

ويحترق النيل من حد مصبه في بحيرة النور الى نحو ثلاث درحات فوق
البحيرة بلاداً منخفضة منعمية وهو فيها كثير العظماص صبق الجري ويسميه الاهالي
هناك باسم قبر . وعلى ضفتيه من القسم الاسفل كثير من النضاء والحلفاء والردي
وغير ذلك من السانات المرتفعة حتى يخفي بينها الجماموس ويتألف منه في عدة
اماكن عدران واخوار سمو حولها شعر الصدر . وعلى مسافة من الجري ترتفع
الاراضي ويكثر الشجر وينقطع النصب ونحوه من الأسل وتكثر النباتات المتعرشة
وتتكاثر حذاً حول جدوع الاتجار الكبيرة حتى يصعب جداً تتبع طرق

الوحش بينهما . ومن انواع تلك الاشجار الدلب والباوب والهربون والسام
والاسوس وتجرة السمن والتمر هدي وشجرة الصمغ المر وكثير غيرها من الاشجار
المباوعة . ومن الاشجار الصغيرة الفطس والكرم وغيرها

ولكثره العباض وغزارة الماء واتساع النفاذ وقلة السكان تكثر الوحوش
كثرة عظيمة تنبض بها مياه المهر والمستنعات والاحراش انواعاً وافرة .
والسبك في المهر كبير ايضاً ومن حملة انواع الرعاد المشهور والسلاحف الصحبة
واكثر طعام الاهالي من صيد السبك . وفيه ايضاً درس الماء والسباح وهم
يخافونه جداً حتى انهم يطرحون له عبراً كلما قطعوا المهر . وفي الشتاء تكثر
الحيات والورل وغيرها من انواع الرواحف . ومن الطيور النسر الصياد
يصيح احياناً صباحاً غرباً . والعام والحبارى وديك البر والورل الكركي ودجاج
فرعون والبط وانواع طيور الماء . ووحش النيص ايضاً انواع كثيرة

ومن الحيوانات الكبيرة الاسد وهو هناك كاسر جداً يفتك فتكاً شديداً
ويهم على الانسان في منزله ويغطي اليه السياح المرتفع ويرمض زمجرة مخيفة
حداً طالما افلقت السياح في جوف الليل ومنه نوع يقص الفئر الوحشي والادلي .
ومنها البر والهد والصمغ والمهر العري وكثيراً ما تسطو على الماشية لكن تهرب
من الانسان . والفيل كبير جداً يكون قطعاناً عديدة يصبح صباحاً رعاءً
ويتناف شتياً كثيراً من السانات الصغيرة والكبرة ويقنع الاستحار بخروطوه .
ومد سنتين كثر صيده فقل عدده شتياً وتحصل من عاجه كميات وافرة
ويقنلونه بالرمصاص عالياً والسودان يحضرون في طريقه حراً عميقة يسترونها
باغصان الشجر فاذا مر سقط فيقتلوه طعنًا بالرماح والعرب المجاورون للشاوق
يصطادونه بالرماح على الحبل يجرحون اليه اثنين اثنين الى ستة ستة فيطارده
ويدورون حوله في دائرة متسعة يصيغونها بالتدريج حتى يقتربوا منه فيترحل
واحد منهم من ورائه وهو ملته رفاقه ويطعنه بالرمح في نطه فيسقطه فيطفر
وينعطف اليه فياتي الآخرون ويشعونه طعنًا من الورا فيسقط صريعاً .

وخيل هؤلاء العرب تسابق الرياح ولا يفارق الفرس فارسه ولو بقي وحده
وتحتقن الخطر. وقد يكرون على الليل عدة مرار وهم يطعنونه حتى ينزف دمه
وأكثر فوزهم بصيد الثيل في السهول وأوقات الحر والجفاف ولما يحمون بين
الادغال والمناقع

والسودان بصطادون أيضاً الزرافة وتكون أسراراً كثيرة في المروج
وبصطادون الكركدن والجاموس على شتتها وصرائها

ووفد فرس الماء في ذلك النهر ما ينوت حد التصديق فمن بحيرة الماء
الى بلاد ناري لاتزال قطعانه تُرى كل قطع مولف من نحو خمسين فرساً
وهو غير كاسر لكن شديد الحذر لا يزال برقع راسه فوق الماء وينظر يمينا
وشمالاً ثم يعوص. وتري كيات منه في المهار تلعب وتوالب على الشاطئ بعمامة
فإذا رأت سنية توانست الى الماء وعاصت وهي ترعمر حقاً. وإذا كان الليل
تسمع لها أيضاً ربحرة شديدة تدوي لها الفيعان والادغال ثم تخضع وتخرج الى
البر لترعى فإذا دخلت ارضاً مرروعة درة انلهتها انلاقاً تاماً أكلاً ودوساً مارجلها
والسودان برعمون في صيدها لاخذ اسنانها وحلودها ولحمها أيضاً لكن في
صيدها خطراً حسيماً لان الرصاص لا يؤثر في حلودها الصفينة. وقد وصف
كوفان هيئة صيدها مرة قال كان في عندوكورو في ١٨ شاط سنة ١٨٥٨
فاتي بخار العماح ومن حملهم رجل يقال انه علي طوبى كان اصحابه لم يذوقوا
طعاماً الا الحموص منذ مدة طويلة فاراد ان يطعمهم لحماً فعرم على صيد فرس
الماء. فاتي صقوة ثاني يوم واخبرنا انه رمى فرساً بالرصاص فخرق دماغه وجرح
آخروني اصحابه براقصوه ربما ياخذ لوازم الصيد ليعاد دخيرتهم. فخصينا معه
لنتفرج على هذه العلية فوجدنا جمهوراً غفيراً من السودان اقبلوا على صوت
البارود وازدحموا لتوزيع اللحم عليهم. فركب علي زورق رجل ناري ماهر في
صاعته وتقدم الى الفرس المجرور واطلق عليه الرصاص فوثب على الشاطئ
فاعترضه السودان بسهامهم فشكوها في راسه وطعمه آخر فخرق في عينه واثنته

ففيها فرجع الى المهر محاولاً اقتلاع الخراق وعاص تحت الماء. ولا يستطيع ان يمكث تحت الماء الا ربما بمناح الى النفس وكان عليّ يتنعم انره فلما رفع رأسه رماه برصاصة خرقت دماغه فدمر زخمرة ثغيفة ووثب على الرورق من شدة حنقه غير ان الملاح الباري تراجع عنه بجمته وكان الفرس ايضا قد وهى عرمة وكان الدم يجري من رأسه وهو يحاول الفرار وعلي بضارده وبقطع دونه السبل حتى رماه برصاصة اخرى في قدامه (اي خلف اديه) فلما هذه تكون الفاضية فطهر بعزم شديد حتى ارتفع كل يديه فوق الماء ثم سخط وجعل يجوض الماء ويدور على نفسه بعزم شديد. وصارت قوته ثلاثى شيئاً فشيئاً الى ان ظلمت حركته. فتقدم علي واطلق عليه الرصاص ايضا فطهر ثانية فوق الماء وسخط صريعاً وبعد دقائق طهرت قوائمه فصبح السودان صحيح الفرح والاستسار وقد قضى الامر وزيارة السودان بصطادونه رأياً بالمخاريق برطونها يحمل متين في حذع شجرة فادا اندوا الخراق في الحيوان يسرع الى الماء ويعوض وهو برمجرج ويعلمون به ذلك وهو في المهر ايضا لكن كثيراً ما يصدم السمس فينلها ويتر أصحابها ساجدين خوفاً من سطوته

وكل ذلك القسم الذي يجري فيه المهر الى الدرجة السادسة ينطس فيه اتمان يقال لاحداها الطويشة وهي على الصفة اليمى واللاخرى النطشة وهي على اليسرى. فيمرون هناك في ايام الجفاف ليرعوا مواشهم في التيعان وتشت بينهم نار الفتن. وهم والورة والالبانة الى جهة الجنوب من سلاله امة الدنة التي تنتشر في تلك الارض الى حل يماقي في الدرجة ١٢

وامة الدنة هذه على ما احبر المسترون الذين عاشرهم مدة طويلة هم اهل الامم التي على صفاف النيل الا يصب سببهم جيدة خفاف الحركة طوال القامات هيئتهم لا تدل على التوحش كما تترك الامم السودانية وكانوا يدعاه لكن ساءت طبائعهم بعد ما اساء اليهم الذين يجرون بالعبيد. ومن عاداتهم انهم يوسون بمرح عميق بين العيينين وبمرحون منه دوائر بالوخر على الجبهة وكلامهم

مولف من مقطع واحد على الغالب وليس عندهم حروف الصغير وذلك لانهم
 يفعلون الشايات الاربع الامامية ويحلقون شعورهم الا ذواته يعلقون بها
 اللآلىء ويجعلون في ايديهم وارجلهم اساور وخلائيل من العاج وحلق النحاس
 والحديد ويكرهون كل لباس . والنساء يترننّ محلدات واحد من الامام وواحد
 من الوراء والحلبي اطول ويعلقن فيه شبه احراس صغيرة وحلقاً من حديد
 او نحاس حتى يسبح للمرأة خشبش من مسافة بعيدة اذا مشت وقد يسرن
 اكثافهنّ وصدورهنّ من حرّ الشمس . والرجال والنساء يعلقون في اذانهم
 حلقات زينة من نحاس وسلسلة من حلقات صغرى ويربطن بها خيطاً يند
 الى اعلى الجبين حتى لا تستطيل الاذن من ثقلها بطول الرمان

ويتعاطى الدنفه رعي المواشي ومن طعمهم الكسل لا يطلبون الثروة
 ويكتفون بالكفاف لكن يعاونون الانعام في ساء منارهم والساء يقمن سائر
 الاعمال بفحس الحنول ويحترن الارض بمعدية كالملال ويقلعن اصول
 السنانث غير النافعة ويذرّن ويحصدن ورجلهنّ على الماشية وريارة
 الجارات لا ياتون البيت الا وقت الاكل والجماعة تكثر عندهم لنفادهم عن
 الادّخار لكن الله يتدارك حاجتهم بعائته بعد انتهاء الحصاد يكون وقت
 نصح الثمار الكثيرة عندهم فلا يحظر سالم ان يررعوا ثانية في نفس السنة
 وينهافنون على الثمر . فاداء وقت الحفاف اي زمن التبط يتسارعون الى
 حوار المهر بمواشيهم ويسرحونها في المروج ويتناون باللس والسمك لكن
 لقلة اللبن ولسوء نعيمه اذا اطيل استعماله محرّداً طالما يجتاحون ان يدلو ما عرّ
 وهان ليتاعوا حوتاً من حيرانهم الذين هم اضر منهم في عواقب المعيشة .
 وفي تلك الانشاء تكون ساء الفراء في العمامات يجمعن فصلات الطعام لسدّ
 الرمي في امان الجوع

ولو فطس اولئك الدماء لما دافوا مرارة الشدة لان الارض خصبة جرّاً
 والتربة في غاية الجودة والري وافٍ وامر وفي بلادهم شاع كثيرة مهملة

على جودتها بمجود بها السمسم والذرة والتنع . ويسهل ان يحصل موسمان في السنة
لغزارة الري وقد حصل المشترون هناك ثلاثة مواسم في السنة من نوع من
الحنطة انما بها من خرطوم تخرج عنها في شهرين والذرة تحصل عنها في ثلاثة
اشهر

ومعظم اهتمام الدقة في الفر هي اعر عندهم من سائهم واولادهم لانها عمدة
حياتهم على زعمهم وما سواها فصلة ونفهم صغيرة غير حسنة الشكل بخلاف
الفر التي في حوار يبارا حموي حظ الاستواء . ولها قليل جداً وليس لهم
منفعة من لحومها لانهم يجرمونها جداً فلا يمكن ان يذبحوا واحدة لاكل لحمها .
واذا ماتت فترة يدسونها كالولد والاح والاب ويربط صاحبها رباطها في عنقه
ويطوف بين الناس نادياً سوء حظها . واتقى ان احد المشتريين دبح عجلاً فلقبوه
بالذئب

واما النيران فيذبحونها في المواسم الكيرة والاعراس والمآتم ولا يحصل
السياح من لحمها شيء الا بدفع مبلغ حبيب من نحاس او خرر ولشدة احترامهم
للفر لا ترى فيهم رجلاً الا ملقاً باسم تور ولا امرأة الا ملقمة باسم فترة واكثر
حديثهم بدور على ذكر الفر وبها تختص اعائهم ولا حلها تشأ حروبهم واحسن
مكان عندهم مراض الفر فيجتمعون هناك وينظرون اليها بالدة ويجمعون
اروائها بابدبهم ويجمعونها بالنسب ويستخدمونها اما حرقاً في المراض اطرد
البعوض او يعالون منها الضلأ المار ذكره لشعرهم او يخلطونها بالرماد ويحسون
بها فرشهم . واما احوال الفر فهي ايضا في مكانة عظيمة من احترامهم يعالون
بها الدور والراحل والصحن ويعنسلون بها ايضا ولا يعلون عليها الماء
الزال العذب ويصل بهم الامر الى ان يعتبروا السعيد منهم من يلازم فترة
فاذا بالت يجعل يده تحتها فيعتسل به ويفرك به وحيته وهو في اشد الفرح .
ورائحة روث الفر وبولها اشئ الروائح عندهم

واما مساكن الدقة على نوعين فبها ما ينونها بسرعة على ضفة النهر وتكون

أكوأخامن النصب مطيبة روث البقر يتفون بها النسيم الدارد في الليل في فصل
القيظ وتكون موقفة . ومنها المساكن الاصلية التي يقيمون بها بينوها في الاحراس
وتكون أكوأخا مستديرة قطرها نحو اربعة امتار تقوم على اوتاد وتشد بالاغصان
وفي خلالها القصباء ويستفونها بالنفس الياس على شكل محروط ويطبسون
حدرانها بالتراب وروث البقر ويرصون الارض حتى تشتد صلابتها ويجعلون
الابواب صينة يمدون بها رحنًا كالحجوات في اوجرتها ويقفلونها ايلًا تنفل من
النفس من الداخل . ويجعلون على الجدران تماثيل رؤوس النمر علامة للوداد
والحيات علامة للكره والعصا وبسامون على جلد اوفراس من النفس ويكون
الاثاث كرايب محررة واوعية خزفية وقصات علابن يكثرون من استعمالها
وسلال معلقة في السقف نوصع فيها ذخيرة الحطة . وليس عدهم ارجحة فيدتون
الحب يهاون من خشب صلب . فاذا جاء الليل يجتمعون ويتسامرون مليًا
ويستدفئون سار الروث ويغتمسون في الرماد لانتفاء البرد القارس

وللسودا رغبة شديدة في الرقص . ورقص الدقة يكون ليلاً في ضوء
القمر يدورون به حلقة على صوت الطبل ينفرون ويصيحون كالوحوش
ويعمون اعاني لالتحس فيها موضوعها ذكر الساء والبئر . وفي هذه الاحتماءات
يختار الشاب عروسه فاذا وقع اختياره على واحدة تعقد الحطة باداء المهر
لعائلتها وتكون قيمته بالنسبة الى رتبته فان الحاكم عند القنطرة يدفع لابي خطيبته
اذا كان رئيساً ايضاً عشر نقرات وعشرة ثيران ولامها عشر نقرات . ونقص
قلائد من الحرراو الحماس لادنى اقربائها . ولا تنزوح المنت قبل الخامسة
عشرة ولا الشاب قبل العشرين مع ان الادراك هناك يكون قبل ذلك العبر
مدة غير قصيرة لحرارة الاقليم . فاذا حان الزفاف ياتي اصحاب العريس
اصحف ملوقة لسا يقدمونها لابي العروس فاذا كان من الرؤساء يدبحون بوراً
ويولون وابنة حافلة ويقدم العريس قسماً من المهر المتهنى عليه فتصير الفتاة
شرعاً فباخذها الى منزل من غير احتفال ولا يودعي تمام المهر الا اذا ولدت

له وإذا كان كانت عاقراً فلا. ويطلبها ويغذ غيرها
والعروس قبل ان تلد تمتنع براحة تامة وافراح دائمة يكون الكل في خدمتها
كانها ملكة صاحبة امر وهي فتى ولدت نطل كل ذلك وتصبر كالامة فتسعى
في جلب الماء والحطب من الادعال تحت الامطار وتقوم بتدبير المنزل والصلاح
والحصاد ولا يفارقها رضيعها في كل اعمالها وترضعه احياناً مدة سنتين اذا لم تعلق
وتصنع له ارجوحة من الخلود وتعلقها بما كفا وتذهب لاعمالها فاذا حصدت او
حرت تعلق ارجوحة في شجرة حتى اذا انتهت حملته وحملت الحطب وعادت
الى بيتها فتذهب بصارتها في وقت قصير يسب هذه المشاق وحينئذ يشتري
زوجهما فناء اخرى ولا يجوز ان يغذ صرة ولذلك لا تكثر النساء الاعد الاعياء
فكلما كانت نساء الرجل كثيرة كانت دليلاً على وفرة نروه

واما الدين عند الدنفة فهو على عاية من الحسوبة لكنهم يعترفون باحباب
الوجود ويسمونه دنديدو يعرفون انه هو خالق الشمس والقمر والشرع عبادهم
لا يعتقدون خلود النفس بل يعرفون ان الانسان يسي بالموت. ومع هذا
الصلال يوجد اعتقاد خفيف عند البعض فيقال ان النطفة والباري يدكرو
ان الله خلق الناس الصالحين وجعلهم عبدة في السماء ولما اساء بعضهم تصرفه
ارحم الى الارض بالحوال. واهل الصلاح من الشر يتدرون ان يصعدوا الى
السماء بهذه الحمال لكن تطول الرماح بنجات السبل وينقطع وقد اعلمت
اقواب السماء دون الجميع

وعندهم فكر آخر بشأن سعادة الانسان الاولى وستوسط يستخرج من كرمهم
الحبات لانهم يعتقدونها ممداً الشر ولها يدعون النجاي بالهم يتولون ان الله
اعظم صلاحه لا يحتاج الى ترصية. ومن العرب اسماهم يعرفون الحكمة المسماة بيون
في الميتولوجيا اليونانية ويدعون لها توراً. قيل ولا بعد ان هذا الاسم اتصل
منهم الى مصر ومنها الى بلاد اليونان. وكل الحبات عندهم سامة الا افعى
الحصراء التي تعلق بين الفصص على ضفة النهر والسماء يتون يبلغ طولها اكثر

من سنة امتار . وكل انواع الحيات توجد في الاحراش والبساتين والمنازل ايضاً
نسب اليها لتقتل الفروتنهش لمومها . فلا يخرج الانسان من منزله الا
متخذاً الكثرة وجودها في كل وقت . واسع الحية هناك ينخ هولاً شديداً
وقد ذكر بعض السباح حية انت وهو مع جماعة جلوس على المائدة ايلاً
وكانت من اخبت انواع الحيات تقتل من ساعتها . واول من رآها منهم صاح
مترعجاً وبهت الجميع وحمل السائح يبظر هنا وهناك ليراها ثم رآها ساعية نحوه
وتسلقت رجليه وقصدت الدخول في كفه فمحص من ساعتها ودفعها فوثب
الجلوس كلهم وانفلت المائدة والصحون والفتناديل ثم تعاونوا عليها بالعصي
حتى قتلوها

وقد فتح ما ذكر ان امة الدقة ساقطة جداً بالنسبة الى العقائد الدينية
وانذلك كثرت عندهم الحرافات وحرعلمات المشعوذين وسينصح ذلك في
الكلام عن اللاري في الفصل التالي

الفصل الثالث

امة اللاري — عاداتهم واخلاقيهم — رقصهم — المستعظرون —
ذكر جماعة من المسترلين

من صعد النيل الابيض وبلغ الدرجة السادسة من العرض الشمالي يرى
تعبيراً عظيماً في مناظر الطبيعة واشكالاً جديدة من هيئة البلاد . فهناك ليس
منافع ولا آجام من القصب بل تبدو في السهول الفسيحة قارات كثيرة . والنهر

في تلك السهول التي يشنها يكون نارة عريصاً شديد الجري وتارة يتلوى
تعرجات كثيرة ويجدق مجرر عديدة نقطتها امة يقال لها شيرة . وتلك الجزر
كثيرة النباتات والادعال . وهناك مزارع الذرة ومروج الكلال تسرح فيها
الوف من المواشي . والخصرة تعشى الاكام حتى لا يرى منها صحرا ولا تراب تقريباً
وتسد الافنى حمال مستديرة من جهة الجنوب وقرى امة الداري متباعدة في
مسافة بعيدة اما على حدود العابات او في الاكام والخصب هناك يريد المماظر
رونقاً والسكى لهجة وادة

وتلك الامم اسى عنولاً من سائر الامم السودانية ولعنهم نوؤدن ترفع
سلائلهم وتمتاز امة الباري بعنمها في اعمالها وخشونة طماعها فانهم طاعون
مشاغبون يعيشون بين القبائل متنقلين من قبيلة الى اخرى ولا يدايمهم التجار
الا بالسلاح ختية من سطواتهم . ومع كثرة الحصب والحيرات الطبيعية في تلك
الملاذ كثيراً ما تلب اهلهما الحماعات وما ذلك الا لقلعة الرراعة والتقاعد عن
اعمال الحياة وتكرار السرقات والمهب وعيت فرس الماء في الحقول . والداعي
الاكبر الاسراف في الهمم ياكلون علال الذرة والسسم في ثلثة اشهر فتعقب
ذلك الناقه الشديدة وتلع اتندها في بيسان وابار فيستردون في الملاذ هراً
من سدة الجوع ويفسدون سنن التجار وسنقراتهم ليلتفضوا ما يتيسر لهم او
يبادي ماديتهم الطعام باجياج فيتبادرون كالذئاب ولتتهون كالحيتان
وكببرون منهم يموتون جوعاً وقد يصل الياس بالامهات الى ان يطرح
اولادهم في النهر اذ ليس لهم ما يقتاتون به وتكثر السرقات والتبطل

والذي عده بعض فرات بعصدها ويعتدي بدمها واذا مات حيوان
تهاقوا عليه كالنسور على الجيف . وبعد ذلك تنبل ايام المواسم فيقومون
باعباد حافلة وتكثر افراحهم ويولون الولائم ويعقدون كل ليلة محاليس لهم
بين رقص وغناء ولعب وشرب وهلم جرّاً

وعادة الرقص هناك مما يدل على الحفة والطيش فلا يعتبر اولئك النضر

بين اجبال المشر الاكلاولاد في حاسب الرجال . قال احد المرسلين عبد
ذكر هذه العادة انهم يضربون الطول بعد الظهر لكي يعلموا ان الاجتماع في
المساء . فاذا كان المساء يسع ضرب الطبل مستمراً على مناسنة حركات الرقص
حتماً لاهل القرى المجاورة لباتوا ويمصوا البهم . وفي الساعة الثالثة اي بعد ارتفاع
القر ارتفاعاً كافياً يردحون كالجرد من كل ناحية في المكان الذي فيه
يرقصون

ثم يجتمعون تحت الاتجار الكبيرة وتكون لهم حلقة عظيمة وصباح الفرح
والفهيبة والغناء ونحو ذلك ما يستوقف العام الجافل ومن حملة كلامهم الذي
يتكرر « ناو . فارانا . لاري كانا . نانا باين » اي أمت هذا . مساء الخير .
هذا يوم الرقص . هل معك تغ . وبين ذلك احداً منهم يتواتون ويتلاعنون
« مثل السعادين » وعند انتهاء الرقص يؤلفون حلقتين احدهما داخلية من
المساء والسات بحمان سوق الذرة بصنة رماح . والاخرى خارجية محبضة
بالاولى من الرجال والصبيان ومعهم الخوذ والقسي والرماح . والاعتيا من مهم
يحملون تروساً من جلد النبل . وكل منهم يغلي ثابتن ما عده من التخف .
والحلية العامة للراقصين مولدة من اجراس صغيرة تعلق من القدم الى ما فوق
الركبة لا يزال صليبها يوقر الأذان . والمساء يغندن مآزر جديدة والبيات
يربن اعناقهن واكتفاهن بالخرر ويعلن من الورا ضميرة من جلد على شكل
ذنب الفرة والرئيس يغدشارة المهابة دهن حصد دهن شجرة يعينونها
قورولنغي مزوحاً بهرة ويلتق حمائل صفراء وعلى راسه منار احمر وفي يده
نرس من جلد النبل وعلى منكبيه جلد فر وفي ساقيه وذراعيه حلقات عديدة
من النحاس مخلوة تم ياخذون في الرقص ويتخلل ذلك حركات وحشية وصباح
كموا الدئاب

ثم تضرب الطول ضرباً خاصاً فيتوتون عن الرقص والغناء وفي
الحال تبرز الاطفال للمصارعة والمقاتلة وهم كالاسود الصارية ويمزنون رماحهم

ويثلاثون ثم تولول النساء واوله شديدة فتلقى الريح ويستعرب الكل في الضحك حتى تدوي الارعاء . ثم يعود ضرب الطبول ويتقدم الزعيم ورعته بعده ويركض ويتبعه الراقصون وتدور حلقة النساء الى جهة مخالفة . ثم ياتون بحزم من الفس متباعدة ويطرحونها في وسط حلقة الرجال وياخذون في الرقص الحربي باحتدام حتى كانهم الابالسة في جهنم بحركاتهم ومناظرهم وصياحهم وطين الاجراس ودوي الطبول يزيد الحال فضاظة ومهابة

وهذه الاعمال والحركات الخشية التي تظهر في محافل الرقص تظهر ايضا في سائر المحافل من اعراس ومآتم واعياد ونحو ذلك . وفي الاعراس يولون ولائم فاخرة حافلة بانواع الاطعمة وكثرة الاسرة . وفي المآتم يخرجون مع الجنائز يعول يلقى الاقطار وحركات تملك الابدان وذلك لكي يطردوا الشياطين على زعمهم عن الجنائز ومتى دفن الميت يعلمون ايضا يعول شديد جدا ومن عادة الدقة ان الواحد يسمح له باقتناء ساء على ستة مقدراته المالية لانهم يشترون ساء هم كاصناف الصناعة كما اشترى آتما . وتكون كل واحدة في كوخ على حدة لكن تكثر بيمن الخصومات والفس المسببة عن تحاسد الصرائر وانصل العيرة بعضهم الى ارتكاب الطوائع . فقد ذكر كوفان ان امرأة اشتدت بها العيرة واحرق فوادها الحسد لكون صرتها ارفع منها منزلة عبد الرجل ففي ذات يوم قصصت على بست هذه الصرة وقلمت عينيها ونقرت بطنها واستقرحت قلبها فعلم زوجها بذلك فقتلها صبورا

والفقر من اعظم اسباب توحشهم وضرائهم فهم الاكر ان يملأوا بطونهم ولذلك لا يهتمون بدين ولا ادب . ويعتقدون وعود قوة خالقة اسمها موف ويقدمون قرايين من لبن وغير اطعمة للافاعي السود زاعمين انهم من سلالتها . لكن لا يعترفون بجلود النفس ولا ياتفون من الانهار

والمشعوذين والدجالين والرقاة وامثالهم مقام عظيم عند تلك الامة المارية وادعى بعض سحرة ان السلاح لا يوتر في جسمه . واجتمع اليه الناس من كل

فج وتواردت اليه الهدايا كالسيل المتدفق فانفق يوماً انه خطب خطبة طعن فيها بنجار المصريين فترصدوه حتى قتلوه عدراً . فاحتياط قومه نشلوه وصاروا منتظرين رجوعه الى الحياة ولم يخفوا موته حتى يلي

ومن اغرب ما يبرعمون ان فيهم اشخاصاً يستطرون السحاب اي يدعون انهم يزلون المطر متى شاءوا . فيخبرمون ذلك الشخص اشد الاحترام ويحلقون مناهمه جداً وياتونه بالهدايا من كل نوع وخصوصاً اذا طالمت مدة القحط اي احتباس المطر . غير انه يكون معرضاً للويل اذا خاب عمله فانهم ينجسونه عليه ويسبقون بطله زعماً منهم ان الرياح والعيوم كاسمة فيو لم يبرد اولم يندر ان يجرحها الا ان يسكنهم بمواعيد نفهم او يلقي التهمة على كثرة شرورهم

واخص مركز لتجارة العاج عند امه الماري قربة غدوكورو الواقعة على الضفة اليمنى من النهر وفيها كان مقام المشرى الكاثوليك سنة ١٨٥٠ و ١٨٦٠ وكان اول اسير وشهيد مهم المحلوسكو الايطالي . فانه كان منترداً بين اولئك الدائرة وكان احسنهم طماعاً لا يخلو من تكرار الاساءة اليه فلم يضعف عمره بل جعل يثبشارة الانجيل بعيرة حارة . ثم سافر الى جهة العرب وصادف على نهر يصب في نهر صونة قبيلة من السودان يقال لها رّي افاد عنها اعدادات جديدة وكان يطوف هناك وحده بين المخاطر

وانفق يوماً انه اراد الرجوع الى بلاد الماري فاكمن له ملك ليريا خمسمائة رجل ليفتله لانه كان عدو ملك الماري . وكان الكهين على شاطئ بحيرة يضطر المشرى ان يمر بها ليستقي ويببت تلك الليلة . فلاحل سعدة مرراً واستقي ولم يبت حراً بالسير ليلاً للتخفيف ثقله حرّ النهار واتي الرجال من مكمنهم الى جهة المكان الذي طنوا انه مات فيه فلما وصلوا نفرت الطيور من الاشجار اكثر من حلتهم فحافوا وقد توهوا ان روح المشرى ثارت في وجههم بمحوش جرارة فاخطلوا مضطربين وتطاعوا بالرماح وهم لا يعرفون انهم يتناولون انفسهم فقتل منهم ستة . فلما رجعوا الى الملك لفقوا له حديثاً هائلاً بشأن مقدرة المشرى

حتى آلى ان لا يقصد منة اخرى ملاحظته وقد توهه روحاً واهلاً قدبراً
وفي هذا المبشر ساعياً على قدم النجاح بمجبل صبره وحسن تدبيره حتى
صار مطاعاً نافذ الكلمة في معظم احندام القوم . وقل القتل بين امة الباري
وبدرت الفتن . وصارت امة البري تعتبره نظير اله . وكان كل صاحب مجد على
بابه طعام نهاره وهو لا يدري من يأتي به . وجرت عليه امور مسببة من قبل تحار
خرطوم لم تخط من قدره بين الداراة فاستمر عدهم الى ان عجز عن العمل لكثرة
المشقات فات امير الانسانية شهيد البشارة . فاسنت عليه امة الباري اسفاً
شديداً لا مزيد عليه ولمسوا الحداد جميعهم كباراً وصغاراً رجالاً ونساء . وكان
نحو اربعة آلاف منهم يزورون قبره ويوحون عليه ويدبحون التبران مدة
ثمانية ايام

وبعد ذلك انت لجنة من المبشرين لكن لم يكن لهم عد الباري شان رفيع
الاعايات خاصة اعطىها اتساع بطونهم من خيراتهم فكانت مسالمتهم اياهم رياء
وكثيراً ما كانوا يسرقون من امتعتهم وغلامهم . وكانت اتصالية الباري بنحار
خرطوم مانعاً اكبر في سبيل نجاح اللجنة فكانت جماعات مهم ومن حملتهم كثير
من الاوروبيين الاردباء ياتون ويتسدون امور المبشرين ويحرضون الباري
على اذيتهم . وما اوغر الصدور ايضاً ما كان بحري من الاخطار والقتل بسبب
نحار العبيد المدعين تحارة العاج فصار الاهالي يكرهون الاجاب كرهاً شديداً
وبذلك تناقبت الفتن . ومن ثم حبط مسعى المبشرين تكراراً وقتل منهم عدد
غير في جهات مختلفة



الفصل الرابع

نهر صوة وبحر العرال — قبيلة نيام نيام — ذكر غير امور

المهران المذكوران بصان في الليل الايص وكثيراً ما قصدوا حبيهما تجار العبيد وصيادو الفيلة. وكان السائح اربود قد دخل نهر صوة من مصبه. واستقراه رجل مالطي بعد ذلك اسمه اندريا ديبو سنة ١٨٥٤ وكان معه رفيق اسمه فيليب ترابوفا. فوحداهما عظيماً الشان بحري تعاريج كثيرة في سهول مسيجة كثيرة السات والفيلة ونهر الوحش والرافات ويسمى باسماء مختلفة باختلاف الاقطار

وعلى ضفتيه قبائل من سلالة الدثنة والشلوق وقصد ديبو ورفيقه ان يدخلوا بلاد البري لياحدا العاج فصعدا في فرع من النهر الى مسافة بعيدة ثم توقفا بسبب هبوط الماء المانع عن القحط فاصطرا ان يقيما عدة اسابيع بين جماعة من السودان ختماء الطماع لا يتدران ان يتقدما ولا يتأخرا وكثيراً ما اضطرا الى السلاح لدفع شرورهم غير انهما حاولا احراء العلاقات بينهما وبين بعض رؤساء البلاد مع انهم مضطربون على الطمع والحسنة. وقد ذكر ترابوفا في جريدته اخباراً بشأن تلك الاقامة فقال

سافرت في ٥ اذار مع خمسة عشر من العبيد للقاء سلطان الشلوق وكان مقياً على مسافة نحو يومين في الداخلية فوصلت في اليوم الثالث. وعلم الملك

بقدمي فارسل اليّ كبة وافرة من اللين وغيره من الاطعمة ووعده انه ثاني يوم
 يرورني فلما كان العديت جهوزاً من السودان في حركة وسعل سأل
 من يهيد الطريق فسالتهم ما الداعي لذلك فقالوا هذه الطريق التي يمر بها
 السلطان . وكانوا يهرشون الطريق بالرمال وروث البقر ويسترون ذلك
 بالجلود . وكان الناس قاعدن على جابي الطريق . لانه لا يسمع لاحد ان
 يقف بحصرة الملك . ثم اقبل بحاشية قليلة الى ان وصل وجلس على اسكاته على
 مسافة ثمانى خطوات من خيمتي وامر ان آتي واحلس لديه فحمل عيدي طمسة
 ووضعوها امامه فحلت

وكان تاباً حسن الهيئة والشكل عاري البدن يلبس قلاند من خرز
 تستطيل بالتدريج الى ساقيه الواحدة اطول من الاخرى . وعلى راسه قمع مرتين
 بالحرز ومستدود الى عقبه يعقد من صغار الصدف وفي راسه عنكولة من ريش
 نعام اسود . وكان جالساً حلسة حاصة وحوله اربعة من خواصه كل منهم قاض
 على قائمة من قوائم الاسكاملة وقدامه رجال يصع احدى رجليه على فخذ احدها
 والاخرى على فخذ الآخر . واثان احراص واحد عن يساره وواحد عن يمينه
 وظيفتهما ان يلقيا يابديهما الصاق السلطان كل بدوره فيمرع به وجهة كانه دهن
 واذا فات يد احدهما الصاق الصق الملك في وجهه

وفي اليوم التالي اتى اربارني ايضاً وقدم لي باب فيل وزنها خمسة ارطال
 فقدمت له كبة من الحرز وقمعة مرتين بالحرز وحرسين صغيرين كالحجل لكرهما
 ملفوفان بحيث لا يراها فكان يحبب منهما ويختار غير عارف من ابن ياتي صوتهما
 الى ان اهتمته . وقدمت له ايضاً امرأة صغيرة فلما رأى فيها صورته الشنيعة ظن
 انه يرى شخصاً آخر وراءها واذ لم ير احداً الا اذا نظر فيها تعجب وسألني
 كشف هذا السر فافهمته ان كل من نظر فيها لا يرى امامه غير صورة نفسه وما
 يواجهها مما يفر به . وقدمت ايضاً قميصاً علقت في صدره خرراً وجلجل وبعد
 ذلك سألته ان يسمح لي بشيء من الاخشاب لاني لي كوخاً فامنع عن اجابتي

وأما نهر الغزال فهو يأتي من جهة الجنوب الغربي ويدخله النجار جواهر
جواهر وقد افاموا على صفتيه مارل عديدة . واستفراء البلاد التي يجري
فيها عرف السياح احوال امة نيام نيام التي شاعت فيها افعال غريبة مختلفة
وقد اشربا اليها في القسم الاول من هذا الكتاب وكشف السر المتعلق بحر
ادناهم السائح العالم عليوم لجان الفرنسي

وهذا السائح آخر من استفري الليل الاعلى كنه الامبراطور نابليون
الثالث رسالة الى السودان فوصل الى سواكن ومنها مضى الى خرطوم
فوجد هناك صعوبات شديدة تعترض دون مسيره في الداخلية لان نجار
العبيد كانوا قد اكثروا من العيت بين سرقه وهب وقتل وتخريب وهلم جرا
حتى اشتد كره السودان لكل احبني فكادت التجارة لا تيسر الا بفجر يد عسكر
م . ولذلك كان لجان مرتاباً من حفة النجار ولم يحسر ان يصعب احداً منهم
لجمع على مئتيه عشرين رجلاً وركب النهر محمواً وسار سير المعتسف . فلم
يخدمه طالع سعد في هذه الرحلة فانه لمع غمد وكورو فوجد الفتن فيها على ساق
وقدم بسوء معاملته نجار العبيد فامتنع اصحابه ان يتقدموا في طريقهم فركب الليل
الابيض واحناز منه الى بحر العزال فاستفراء الى حد بابايع في زورق للبراق
غير انه لم يستطع شنع مناصده لان تجارة العبيد في تلك الاقطار كانت
تدعو الى افطاع الاعمال والمحتش السائح حتى لم تكن اداة تخلص من بران من
مستمة والدماء تجري من اهلها اهباً والاضطراب لا يفر له قرار ولم يكن احد
ضعيف الجباب يامن على نفسه . فرجع لجان حزيناً اسيفاً لهذه الاضطهادات
وقرر عنها تقريرات مستوفية . وقد ذكرنا هذا المعنى في القسم الاول من هذا
الكتاب . والله الموفق الى سبيل الرشاد

ملحق

في محافل الاقطار الشمالية من الكرة الارصة

الفصل الاول

النقطة الشمالية

ليست الصعوبات التي تعرض في طرق المتجولين في اقطار افرقية الوسطى
الحرقة اعظم من التي تطرأ على الباحثين في بلاد تخلصت من الجهد جلياً اندياً
وكما تحركت خواطر العلماء الى استقراء محافل افرقية نهض بهم حب الاطلاع
الى المخاطرة في كشف تلك الجاهل الخايدية ومعظم رغبتهم في هذا البحث حب
الوقوف على احوال الحوادث الطبيعية التي يقوم بها نظام كرة الارض
والاقطار القطبية بالبطر الى هيئتها الحرارية عبارة عن قمة عظيمة من
الجليد تسر سطح الارض في كل من القطبتين وليست لها تخوم محدودة الا
بالتقريب واسطة الدائرة القطبية

ومساحة الاقطار الشمالية تقرب من ١٧٠٠٠٠٠٠ مربع ليس سطحها
الأماء والياسة سبعة مخلفة وغير محدودة في شمال ر اميركا تغلغل البحار
جرائر لا تحصى متورة بلا نظام على ابعاد متباينة من البر متصلة بمصايق ليس
بيها نسبة في الطول والنصر والعرض والعق حتى لا يمكن التمييز بينها بالاستقراء

وكل سنة في الشتاء تجهد تلك المصايق البحرية فتصل الجزر بعضها بعض
محسور من الجليد . فتكون خطاً تخيماً للنقطة الشمالية كدائرة يبلغ معدل قطرها
نحو ٢٠٠ كيلومتر

وهذا الحاجر العظيم هو الذي حاول الناس خرقه ، بوسائل عديدة من-
اربعمائة سنة الى داخلته توجهت خواطهم رغبة شديدة كما توجهت للتوغل
في اواسط افريقية الكبيرة المخاطر

ولما مباشر الناس الاسفار الطويلة وكان فاسكوداعاما اول من فتح
طريق الهند القديمة فانقلت هيئة العالم التجارية حدثت حركة عظمى في اوربا
وتبادرت اممها لسلوك اقصر الطرق الى تلك البلاد المشهورة ، فافوا بها التي هي
محور عظيم لدولاب التجارة . وهذا الجهد هو الذي لم كولمبوس لاكتشاف
اميركا ومن ثم حاول الناس اكتشاف معابر الى الجنوب والشمال ، فاما المخاز
الى جهة الجنوب فقد اكتشفت ماجلان السائح المشهور (راجع الفصل الاول من
ملخص السباحات الكبرى) واما البحار الى الشمال فبقي على شدة العماء مجهولاً
الى القرن السابع عشر وكان الاهتمام بكشفه منذ القرن الخامس عشر . وكان
اساء القرون الماضية لاهتمامهم لبلوغ الدرجة التسعين من العرض الشمالي ولم
يحظر ساهم ما ينجم عن اكتشاف تلك الاقطار من الممافع العلمية واما انباء هذا
القرن فقد عرفوا انه من الضرورة لفائدة عظمى للبشر ان يحاطروا هذه المخاطرة
الجليلة وكانت كل اممة من امم اوربا تفر من يرك منها اخطار البحار الشمالية
وليست الفائدة من بلوغ النقطة الشمالية تتعلق فقط بالعالم النظري بل لها
شان عظيم بالنسبة الى العلم العملي لان عليها يتوقف مستقبل العالم مادياً . وفي
النقطة الشمالية مركز الانواء الارضية ومنها مصدرها ومصدر التقلبات الجوية
والبحرية التي تلحق في مدة قصيرة نتيجة اعمال طويلة فهاك نقطة مهاب الرياح
وجرارات البحار التي هي مصادر اسباب الحر والبرد

ومن ذكر اصحاب الرحلات يتضح تقدم الناس في المعرفة وشدة اهتمامهم

بتلك الاكتشافات وذلك من الاطلاع على ما كان كل من السباح يكتبه
بخصوص ما يدخله من تلك الاقطار . فسبسيان كايوت اكتشف بلاداً سميت
« الارض الجديدة » وغسبردو كورتريال اكتشف بلاد ليرادور . وجاك
كرتبي اكتشف « فرنسا الجديدة » اي كمادة . وبيرين الدانركي اكتشف المصيق
المشهور المسي باسمه ومات هناك . وهيرن اكتشف البحر القطبي وهو بتصيد
لحساب شركة هدسون . وماك كنزي اكتشف النهر الوحيد من اميركا الذي
يصب في المحار القطبية وسماه باسمه . وفوربيشر ودافيس وبافين وفوكس
وميدلتون وويلوغبي وسكورسي ومارتس ورنجل وروس وباري وكثيرون
غيرهم بدلو جهدهم وخطروا بحياتهم حتى ملأوا الخارطات الشمالية اسما جديدة
وعرفوا عدة اماكن قطبية وحاولوا خرق تلك الحواجز الهائلة التي تحول دون
بلوغ القطبة . وكان معظم اهتمامهم اما لمصالح تجارية او للافتخار بالاكتشاف
ان يجدوا طريقاً صحيحاً يوصل بين الانجليك والاقيايوس الجنوبي اي الماسيهيك
ولذلك لم يوجهوا كل حواطهم للبلوغ القطبية فنالت رحلاتهم اليها الى ان قام
فريكلين وسافر لاستقراء الاقطار القطبية فرحل ثلاث مرات آخرها سنة ١٨٤٥
فكانت آخره هذا الرجل العظيم مخوفة بالنعاسة وحيث انره مدة طويلة
حتى تحركت هم اكثر واكثر واميركا لاقتناء اناره والسعي في نجاته اذا كان حياً
فنتجت عن هذه الرحلات نتائج عظيمة الفائدة كما سنبين . والسبيل الذي سلكه
فريكلين مصيق لكستر كان معمولاً من جهة الساحل الشرقي من غريلندة
ولم يتيسر النجاح لعدم اسظام مجاري المياه والجليد في تلك الاقطار ولم يقدر
احد اذ ذاك ان يتجاوز الدرجة ٧٨ حيث البلاد المسماة بارض الملك وليم . غير
ان الساحل الغربي من غريلندة هو الذي تيسر فتح سبيل فيه فاخ التناجح
الحسنة وسياتي في فصل نال ان مركهام بلغ سنة ١٨٧٦ الدرجة ٨٢ والدقيقة
٢٠ وهي اقصى نقطة شمالية بلغها اوروبي . ومنذ اكثر من ثلاثين سنة كان اهتمام
السباح معروف في ذلك السبيل اما لبلوغ القطبة واما لتحقيق الطن بوجود بحر

سائل داخل القطبة في وسط الدائرة الجليدية العظيمة
وبالاختصار نقول ان محاولة باوغ القطبة الشمالية نجبت عن السعي في
اكتشاف ممر من الشمال العربي والشمال الشرقي فتمخضت من ذلك معرفة
حوادث قطبية تستحق الاعتبار على ما سيأتي

الفصل الثاني

الاستقرارات منذ عهد فرنكلين

قلنا ان الحواطر توجّهت الى جهة فرنكلين في رحلته الثالثة ليخترق القطبة
الفاصلة بين الاوقيانوسين وكان معه ٢٨ رجلاً فقط ومضت عليه سنتان ولم
ترد من نحوه اخبار فاستعمل مال انكلترا وارسلت تلك الجس ليقتسوا كل البحار
والاجوان والواعيز التي في ارحيل اميركا في حوار حريرة ملميل . فلم يصادفوا
شخاً فتمركت الولايات المتحدة وارسلت اسطولاً مولفاً من احدى عشرة سفينة
من حملتها سبعة هزتها امرأة فرنكلين وحملت قيادتها للبرنس البرت .
فاستقرت سنة ١٨٥٠ واهي بوغاز بارو وشقوا حاجتها حتى يروا دايلاً واحداً
للاهداء الى السبيل الذي سلكه فرنكلين . محط المسعى ايضاً تم عاد البرنس
البرت سنة ١٨٥١ على نفقة امرأة فرنكلين وصحب شأناً فرنسويّاً خيراً اسمه باو
وبذل جهداً لا يقدّر وعاد القوم خائبين . فظهرت في السنة التالية سفينة اسمها
ايرابل ولم تاتِ نتيجة ايضاً . ومع ذلك فلم يضعف العزم فاعادت الفرنسيون

بلو سنة ١٨٥٢ فوصل الى جزيرة بتشي وهي النقطة المركزية للباغيز القطبية وعزم على المسير الى مصيق ولنتون لبسالم الى القطبان بلشر رسائل الجغرافية فذهبه عاصف شديد الفاه في شق عميق ولم يشعر به رفاقه ففضى شهيد العلم والاسانية واسنت عليه انكثرا كما اسفت فرنسا

ومع كل ذلك لم تسقط همّة الناس في البحث عن فرنكلين فسنة ١٨٥٨ و١٨٥٩ رحل القطبان ماك كلنتوك في ثلاثين سبعة وكات امرأة فرنكلين قد جمعت ما بقي لها واستعانت باهل الخبر والساج حتى جهرت سبعة القطبان المذكور . فمضى وصحة ٢٦ رجلاً من نخبة الملاحين مهم اثنان من احذق الناس واكثرهم خبرة . فاقاموا في بحر ما بين مدة الشتاء ومصوا في نيسان سنة ١٨٥٨ الى مصيق لمكسندر ولعلوا جزيرة بتشي واقاموا اترًا لذكور فرنكلين ومصوا الى مصيق البرس ربح ليصرفوا فصل الشتاء

ففي ربيع سنة ١٨٥٩ بلغوا شبه جزيرة نوتيا وهم يسألون الناس عن اهل السواحل فاقادهم قوم من الاسكيو انكسار سفينتين كبيرتين في جهة الشمال العربي من ارض الملك ولهم واروهم اشياء مختلفة من اثار العرقى . فتقدم ماك كلنتون ورفيقاه لاستفراء سواحل تلك الارض . فلما بلغوا المكان الذي وقف فيه خمس روس قبل ذلك العهد بعشرين سنة سنس هذا السبي وحده سون احد رفيقي ماك كلنتون ردهة من المحارة فاشها ووجد فيها ما اطار فواده فرحًا وحد رقعين فيها افادات من اصحاب رحلة فرنكلين رصعوها ماك حين مرورهم الى السواحل المأهولة وكات هذه الردهة اترًا يني مرور الدس كانوا يتشون عليهم . ففي احدى الرقعين ذكر اقامة فرنكلين في فصل الشتاء في جزيرة بتشي والثانية مورخة في ٢٥ نيسان سنة ١٨٤٨ ومكتوب فيها ما ياتي « توقعت السفينتان عن المسير بسبب الحليد في ١٢ ايلول سنة ١٨٤٦ واطلقنا في ٢٢ نيسان سنة ١٨٤٧ على مسافة خمسة فراسخ من جهة شمالي الشمال العربي وكان عدد الصايط والركاب ١٠٥ تحت قيادة القطبان كروازي واقاموا في هذه

الأرض ومات فريكلين في ١١ حزيران سنة ١٨٤٧ . وعدد الذين ماتوا الى هذا اليوم تسعة ضباط و ١٥ توتيا وعددا (٢٧ مئة) سافر الى نهر ناك " تحبذ تقدم ماك كلتون وبائبة الى الجهة المذكورة فوجدا سهولة آثار اصحاب الرحلة اي جنتهم مستورة على الأرض ورورقا معدا لاجياز المصيق الفاصل بين تلك الأرض وبرايركا . هذا كل ما عرفاه

وسنة ١٨٦٨ و ١٨٦٩ كانت رحلة هال الى هناك فاستمد من الاسكيو فوائد مفصلة بهذا الشأن مدة اثنائه في خون بولس . فيعلم ما افاد ان كروازيني كان قد بلغ البر في طوف من جلد اشترأه من الاهالي بعد ان ترك الرورق الحشوي لتقله على توتيه المموكين من التعب . فلما برل الى البر اضطر الى فتنة يسه وبين الاسكيو فغار بالظلم وقد اعجب اصحابه فحدثت عنهم مطروحة على طريقهم والشرمة التي بقيت منهم حاولت بلوع حص روفيدس فلم يصل منهم احد والاحير الذي بقي منهم كان الاسكيو قد امسكه عندهم فمات سنة ١٨٦٤

مدل المهمة في التنقيب عن آثار تلك الرحلة واتى مكتشف امور اخرى . ثم انهم اكتشفوا آثار الرجال لكن لم يعرفوا ملخص الاعمال التي قام بها فريكلين . سنة ١٨٧٢ و ١٨٧٧ استقصى قبطانان يقال لهما توتر وباري اخبار تلك المكبة من الاسكيو فاخبر اتان منهم ببلعان من العمر من خمسين الى ستين سنة ان الذين بقوا في الحياة من اصحاب فريكلين افادوا ردة اودعوها الاوراق المتعلقة برجلتهم وبعد ذلك وقف القبطان ادمس في نواحي ارض كوكورن على افادات تتعلق بموت فريكلين

ثم ان غردون سبت مدير حريدة نيويورك هرلد اراد ان يرسل جماعة للتحقيق على فريكلين كما ارسل للتحقيق على اينستون حين طست اخباره في محاهل افريقية لكن لم يات مسعاه نتيجة . فالحاصل ان كثرة الرحلات المسببة عن نكبة فريكلين قد انت العلم بفوائد حمة عظيمة الشأن بخصوص النطة

الشمالية وكان عدد الرحلات ١٦ في مدة ١٢ سنة وكان معظم الملاحظة بين
الكترا واميركا لمعرفة طريق القطبة فاكشمت بذلك اكتشافات جلييلة من
حلتها القول بوجود محرسائل صين المنظمة الجليدية في نفس القطبة

ومن اعظم الرحلات التي تستحق الذكر ونقوم بمحمد صاحبها وتويد سبو
هتو رحلة القطبان هال فانه جهر سسجه التجهيزات اللازمة ومضى في سمينتين
يتنم الاهوال فانكسرت السمينتان ولم يصعف عزمه بل ركب زورقاً وطاف
به المحار ومكث مدة في بلاد الاسكيو يتخلف باخلاصهم ويتخذ عاداتهم حتى
وقف على اسرار تلك الافطار واكشمت له سرائر تلك الامة من سنة ١٨٦٤

الى ١٨٦٩

فلما رحع نال رضي العموم ووهنته الحكومة تعويصاً عن حسائره خمسين
الف ريال وسقية من احسن السفن التجارية . فتجهر لرحلة حديدة وكان
يصحنته رجال من الاسكيو مع عيالها كانا سبباً لانقاذ المسافرين من هلاك مبين
غير ان التوفيق لم يساعد هذا الرجل العظيم فانه لما بلغ الدرجة ٨٢ من
العرض الشمالي مرض ومات مدفونه في الارض التي اكتشفها وسميت باسمه .
وانفق ايضاً ان السقية الكبرى صادمت بعنف التيارات قطعة من الجليد كالجلجل
ثم صدمتها قطعة اخرى ورفعتها الى علو عظيم فسقطت عنها وانصل منها ١٩
رجلاً نقوا على الجليد والسقية تجرها التيارات في عرض البحر

وكان من حملة الدين اتصالوا عن السقية النائب تيسون وهو ذو سكية
وتبات وحذق في التدبير لايفشل لدى المصائب . فلما يئس من السقية كان
اصحابه قد افكروا ان يتخذوا اقرب واسطة نقيم من الهلاك غير ان الصعوبات
فاقت الحدود فانهم كانوا يعيدون عن البر وقطعة الجليد التي كانوا عليها كانت
تسير بهم في عرض البحر وكانت كل يوم تصدمها قطع اخرى فتقطع منها
قطعاً كبيرة حتى صار قطرها كيلومتريين وكل ما حاول المساكين من وسائل
النجاة ذهب سدًى فاقاموا بفاسون شتائد البرد والجليد والرياح والجوع ايضاً

وكان مارس لا يعمل عن جمع كمية وافرة من الراد في كل ساحل حتى اذا
اصيبوا فقد السمس يحدوا في رجوعهم ما ياكلون . واذا كانت السفن عاية في
المنامة تيسر لهم خرق الجليد ولوع الدرجة ٨٢ . هناك اعترضهم حبل من
الجليد فما استطاعوا ان يمتازوا الدرجة المذكورة الا بربع وعشرين دقيقة .
وهي آخر نقطة بلغنها سبعة الى ذلك الوقت . وحينئذ اخذوا الاحتياطات
اللازمة لقصاء فصل الشتاء حيث لا يرون الشمس مدة طويلة . غير ان
مارس احتشد قبل هجوم الليل القطبي الطويل ان يستفري كثيراً من تلك
الاقطار فارسل مكهاوم وري وماي في الحملات فبلغوا ٢٦° ٢٠' ٨٢° وهي
آخر نقطة من العرض الشمالي وطبها اسار

وكان الدرتس نائب احدى السفينتين يستفري ايضاً السواحي المجاورة لها
فتقطع مسافة ٢٠٠ كيلومتر من الدرجة ٦٠ الى الدرجة ٨٧ من الطول الغربي
وكان في كل مكان يجد المحاجر الجليدي الدائم الى حفة الشمال . ومع ذلك
عرف الساحل وتعرحاته وانبت انه يميل ميلاً طاهراً الى الجنوب الغربي بعد
ان يعطف في حط ممح الى جهة الشمال

واما السفينة الاخرى فكانت اقرب الى الجنوب من الاولى فمضى منها بولون
لاستفراء ساحل غرينلدة . فمضى عدائاً شديداً هو ورفاقه ورجعوا وقد مات
مهم اثنان . ووجد ايضاً صرّج النبطان هال سالماً . وكان معه صفيحة امريت
انكثرا ان توصع في القبر تذكيراً لهمة ذلك الرجل العبور الذي كشف
الطريق موضعها ولم يستطع الرجوع الى سفينه وهي تجاهد . فانقام باصحاء مدة
حتى امهكتهم الانعاب . وفي اثناء ذلك فحص ساحل غرينلدة الى مسافة
طويلة وانبت وجود حرائر ورّ ايضاً في حفة الشمال لكن لم ينجح هل هذا
البر الذي رآه مستقل او هو قطعة مرتفعة من ارض غرينلدة من حفة الشمال
وذاق اصحاب تلك الرحلة عذاب اطول ليل قطبي امكن العلماء الحكم
على مدته واصدئهم الامراض وتخللوا قطع الجليد شبهة غريبة وتعطلت صنعهم

وكان من حملتهم ايضاً الرجال من الاسكيو المذكوران وكان جل اهتمامها تدير ما يقتانون به ولولا حسن تديرها لهلك الجميع جوعاً . وكانت قطعة الجليد التي هم عليها تنصاقص كل يوم حتى صار عرصها ٢٥ قدماً فقط فالتهم الله ان يتسوا منها الى قطعة اخرى ثم يتناولوا من قطعة الى غيرها حتى يبلغوا البر ولم يكن معهم الا زورق واحد كانوا كلهم متشبثين به فكادت الرياح في ذات يوم تتلف هذا المجد الوحيد الذي بقي لهم واصبحوا على شفير الهلاك المحقق بعد ان قصوا نحو ٢٠٠ يوم في اتساع الاهوال واذا سمينة لاحت لهم في الافق فعملوا بالوتحون لها باحتياد خارق العادة لكن مصي الهار ولم يعوزوا بطائل . وفي الليل اشعلوا ناراً كبيرة من فضلة ريت الحيتان الناقية معهم فلما طلع المهارلم يروا السمينة فيسقطوا يأساً

وفيها هم في ضيق الحماق رأوا قلوب سمينة فلوحو لها فرات علاماتهم وانت فركوها فترحب بهم اصحابها اشد الترحاب وتعجوا عجباً لا مزيد عليه من فائهم وهم اتون من جهة القطبة بقدوم الجليد مدة ٢٠٠ يوم ولم يمت منهم مع ذلك احد لحسن تدير رئيسهم تيسون وعلو همة الرحلين الاسكييين

فمخر نجاح حال الذي دفع اوهاماً كثيرة في رسوم المحاراة القطبية اثر في انكثرتا تاثيراً شديداً فمهرت لرحلة لم يسبق لها نظير حتى لا يستط شيء من محادثتها وهو ملكة المحار . فقد تخمنت سميتين من اعظم السفن وامنها مذخيرة تكفي ثلاث سنوات وكان الفائد الاول الفئاضل بارس المشهور بمخبرته وكثرة اسناره البحرية وناكشافه تكرار السر اموراً كثيرة في قاع البعرا فادات العلم اجل الدوائد الطبيعية . وكان سميتيه حينئذ في الماسينيك عند حط الاستواء . فارسلوا اليه رسالة تاعرافية يحثونه على التذوم لرئاسة الرحلة القطبية . وجعل مركهام لقيادة احدي السميتين وسيتيسون لقيادة الاخرى وكان ذلك في حزيران سنة ١٨٧٥ واخذوا معهم كمية من الكلاب لجر العجلات وقاسوا انعاماً شديدة بن قطع الجليد واعترضتهم صعوبات كثيرة في اجنياز مصيق سميت

حتى لم يسلم من داء البحر الا ثمانية من ٥٢ . في مركز هذه صعونة وبين
 اخطار هذه شدتها ونعد المناسبة بين تلك العذابات ونتائجها المفيدة عزم
 نارس على الرجوع في اول فرصة تيسر له وان كان مأموراً ان يقيم ثلاث
 شتويات هناك ولذلك كان رجوعه مكدرًا للعموم واثمومه انه لم يغم بحق الرحلة
 ولا اتى بالنتائج المنتظرة مع ان الحق انه كشف سرًا عظيمًا وهو قانون الجحارات
 البحرية في القطبة الشمالية وعرف من السواحل مسافة ٧٤٠ كيلومترًا زيادة
 عما كان يُعرف قلة . وعرف بتحقيق طبيعة ذلك الحاجز الجليدي الذي
 لا يستطيع البشر احتيازه . وعرف ان داخله اي في مركز القطبة ليس بحر
 سائل بل اوقيانوس من الحمم موالف من قطع عظيمة تاتية منذ قرون عديدة .
 وان ذلك البحر الجليدي يمتد من ساحل غرينلدة الشمالي الى الساحل الشمالي من
 اميركا في مسافة طولها اكثر من ٢٢٠٠ كيلومتر . ووجد ايضا آثار الاسان
 القديم الذي استوطن تلك الاقطار الى حد الدرجة ٨٢ من العرض وكشف
 ايضا في تلك النقطة مجيئًا من نجم الحجر من الرمن الثالث الجيولوجي

وبما كانت اكلتنا واميركا تحاولان دخول القطبة من مصبق سميت
 كانت المانيا تحاول كشف طريق مستقيمة بين غرينلدة وستسرع جهة وتدير
 البحري المشهور ينرمان وكان ينرمان يثبت القول بوجود بحر سائل في
 نفس القطبة وارسل سنة ١٨٦٨ السفينة المسماة جرمايا لكشف هذا السر .
 واعتصرها الحابد وسد طريقها باقرب وقتا من ذي قبل حتى لم تبلغ ساحل
 غرينلدة . فعادت الى بواحي ستسرع واخذت تقاربر عملية كبيرة النائدة .
 ثم رجعت ولم تقم بشيء مما حُصت بالدهاب لاجله

واما ينرمان فلم يقع بهذه الرحلة وطن انه يبال قصب المسق في تحقيق
 قوله فجهز على نفقته لرحلة اخرى سميت بحاريتين مئيتين جدا وكان من
 حملة الراحلين جماعة من اشهر العلماء . والفائد كولدرى من احدق روساء
 البحر وعضوا الى الساحل الشرقي من غرينلدة لتسهيل الاستفراء . وكانت كل

الظروف موافقة لانعام هذا العمل العظيم

فلما بلغوا الدرجة ٧٤ من العرض انفصلت احدى السنتين عن الاخرى
بإشارة مهمت سوء فهم والواحدة منهما صدمتها قطع الجليد وحطمتها فجار كما به على
الجليد وساء لهم القدر بجمط زوارقهم فوصلوا الى بلاد ماهولة جوبي عريبلدة
واما السفينة الاخرى وهي المعول عليها فمكنت قرب ارض الملك ولهم وهي القسم
الشمالي الشرقي من عريبلدة . (وهي عبر حريرة الملك ولهم الواقعة في الدرجة
٦٩ من العرض الشمالي بين ارض فكتوريا وحريرة تونيا)

وفي الحريف استقروا بعض اماكن قبل دخول الليل القطبي . وكان
الشتاء لاجل التوفيق غير شديد عليهم . وكانوا قد تقدموا في العجلات الى
الدرجة ٧٧ ولولا فساد الراد لتقدموا اكثر وكانت المونة معهم لسنة واحدة
اخرها الصيف القادم عليهم . فرجعوا بموائد كثيرة عن مسافة طويلة من
تلك السواحل وتقريرات لذيذة عن الجليد في عريبلدة واما المحاجر الجليدي
الشمالي فنجروا عن خرقه بطير من تقدمهم

واما هولندية والدانرك فكان قصارى ههما القيام بصحتها فقط في الاسفار
البحرية ومع ان مسالة القطنة الشمالية اخذت مكانا في افكارها فقد تركا
العناية في حلها للامم الاخرى . فلما حصل النجاح في الرحلات السابقة احدثتها
العبرة للسعي في معرفة الشمال الاقصى مشاكلة لغيرها . فمد سنة ١٨٧٨ كانتا
تسيران كل ستة لجنة تأتي بموائد حمة

وسلكت روح ايضا هذا المسلك فكان يتيسر لها النجاح بسهولة في هذه
المسألة لزيادة قربها الى الشمال . فاهتمت الحكومة بتعليم بحريتها العلوم الجغرافية
ورغبهم في الاقدام على المخاطر الشمالية وهم بالطبع معهودون خوض البحار
الجليدية لصيد عجول البحر واخمينان حتى اهمم بدخول اصعب المسالك لتحصيل
شيء قليل ولا يبالغون ببرد ولا مشقة لصلاته اداهم . ولذلك كانت اعمالهم
اجل فائدة ما سواها في العلوم الجغرافية . ولتنشيط الحكومة اياهم تراهم دائما

ياتون بفوائد جديدة من اعد السواحل واقصى البحار الشمالية . وهم الذين
اكتشفوا شبه جزيرة سنسبرغ وقرروا امكانية الطواف حول رملة الجديدة
وهم الذين فتحوا الطريق لدخول بحر كارا هذا فضلاً عن اكتشافات اخرى .
واسوج ايضاً لم تقصر في اعمالها فانها هي التي كشفت الممر الشمالي الشرقي كما سيأتي
فاذا تتبعنا الرحلات التي تكدها الناس لاكتشاف القطبة الشمالية لا نرى
ان مؤائدها وارت الحسائر الحسيسة التي وقعت على الامم بين مال ورجال ومن
٢٠٠ رحلة معروفة لاستغلال غوامض القطبة لم يقدر احد ان يبلغ اوسطها بل
كان حدهم تلك المظنة الجملدية المكددة بها . فان برّي مثلاً قات الدرجة ٨٢
بدقائق قليلة كما مرّ وقد بقي للوصول الى العاية المطلوبة ٦٠٠ كيلومتر
ولم يرالوا يجدون في السعي الى الآن . ولا سيما بعد ان قرّروا ويرخت
وجوب اقامة مرصد قطبية مولدة من جميع الدول . فلم يأملوا للمناخ اولا حتى
حددت هذا الراي الولايات المتحدة ونجحت في معامها . وعندت مؤثرات
دولية فارتأوا اقامة احد عشر مرصداً في الاقطار القطبية ارسلت اليها لحس
من روسيا واسوج وروح والدائر واليسا وهولدة والولايات المتحدة وانكيترا
والمايا منها عشر لحس في الاقطار الشمالية وواحدة في الجنوبية . ثم دخلت
مرياسي هذا المسعى وارسلت لجنة تقيم في البلاد المسماة ارض النار
ولا بد ان الاساس يصل الى درجة من سمو الادراك وعلو الهمة ونحصيل
الصعب في الاحيال القادمة لا تحظر سال الاحيال الخاصة . والبرهان ان
المصاعب التي ذلها والاختصار التي افتتحها والاسرار التي استخلاها والمشاكل
التي حلها والمجاهل التي استقرها في هذا العصر فقط اكبر دلائل على القوة
العطلى التي اودعها في يورب النوات

الفصل الثالث

المعبر الشمالي العربي والمعبر الشمالي الشرقي

كان السبب في التفتيش على مريدريك حول رامبركان من جهة الشمال العربي ان سياح القرن الخامس عشر كانوا يعتقدون ان البلاد التي اكتشفها كولمبس معترصة في طريق الهند . فطامع كاوت البديقي الذي كان مقيماً في انكلترا وتبع البرتغال بعد تأكدها انها تحسر الازواح الناتجة لها من اسفار فاسكوداعاما حركت الهمة لهذا المسعى . وبقي الامر عامصاً الى رهن رحلات دافيس سنة ١٥٨٥ و ١٥٨٦ و ١٥٨٧ وحينئذ عرفت احوال البلاد الجديدة التي دخلها اهل الاستقراء . وكان هدسون في رحلته الاربع التي اتمها سنة ١٦٠٩ اسد اجتهاداً من سلف لاكتشاف الطريق المذكورة . وكان باوين مصاحباً له بصفة ديدان فتحقق ان المسلك المطلوب بعيد الى جهة الشمال فتقدم الى الاقطار الشمالية واكتشف مصبى لكستر وكان قصده الوصول الى اليابان فلم يتيسر له

وبعد ثلاثين سنة استأثرت انكلترا شركة كبيرة في جون هدسون سعي رجل فريسوي اسمه دي غروزيلي ارسله لويس الرابع عشر فكان من جملة اعمالها السعي في ايجاد المعبر الشمالي العربي فعرف بعد نحو سبعين سنة ان اهتمامها كان في توسيع تجارتها بالذراء وامها لم تهتم بوجود طريق نودي الى الماسيبيك ففقدت انكلترا التعويض عن هذا الاهمال فارسلت ميدلتون لوجود هذا المسلك فلم ينجح وكان مدعياً انه يعرفه

فلما اجلس المجلس العالمي الى واسطة اخرى وعين مبلغ ٥٠٠٠٠٠ فرنك جراء
 لاول ملاح ينقطع جون هيدسون وبرجع ماراً سوغاز بيرين فاخذ روساء
 البحرية المشهورون يحاولون ذلك . مثل مور وسميث وكوك وهرن وماك كنزي
 فعادوا خائبين . ولما كان اول العصر الحالي حالت الحروب الاوروبية دور
 الاسفار الى جهات النطقة غير ان سكورسي عزم ان يكون وسيلة الافتخار
 لبلاده فالحج لارجاع الشركات المتوقفة في سنة ١٨١٨ رحلت لجنات الى
 الاقطار الشمالية من قبل انكلترا احداها تحت امرة جون روس والمائب باري
 فحدث في كشف المعبر الشمالي العربي . والاخرى تحت امرة نونسان والمائب
 جون فريكلين كانت تسعى في وعود المعبر الشمالي الشرقي . فعادنا بلا نتيجة
 فتفكر باري من حيث وعاد في سبعين سنة ١٨١٩ وتقدم الى جزيرة مليل
 عند الدرجة ١١ من الطول العربي ثم رحل رحلتين متتابعتين فعرف بها
 عدة مضائق في الارخيل الشمالي واما المعبر المطلوب فلم يجد

ولما علمت انكلترا ان نجاحها بجزر لا يتيسر عدلت الى السعي في الارفسنة
 ١٨٢٠ كتفت جون فريكلين ان يسير في عجالات على ساحل اميركا . فكانت
 هذه السباحة شديدة المشقات وعرف بها فريكلين مسافة ١١٠٠ كيلومتر من
 الساحل وبعد تلك سيرة عاد الى تلك السواحل بجزر وكان مائة باك يفحص
 انحاءها . ثم ان دير وسيسون وراي وولس وهوبر اتوا الطواف حول كل
 الساحل الشمالي من اميركا سنة ١٨٥٠

وكان جون روس في اتناء ذلك يحاول تجديد رحلة لكي يتوز بالمبلغ
 المذكور وحتى لا يكون هذا الفصل للاري وحده وهو حيثئذ يسعى باحتداد
 عظيم . فلم تسمع الدائرة البحرية اروس ، ظلوه فيمت المحوة في راس تاجر
 غني اسمه فيلكس بوث فحيز اروس سفينة فساغر في الربيع سنة ١٨٢٩ وغاب
 اربع سنوات وكان لم يبارح قطراً من الاقطار المظنون وعود المعبر فيها الا بعد
 ان يدقق الفحص فيه . وفي تلك الاثناء اكتشف البلاد المسماة ارض الملك ولیم

(ملك انكلترا) واكتشف ايضاً مصبى نيل واخر سماه باسمه وعدة اصفاع من الساحل كانت قبالة مجهولة تم اكتشاف شبه جزيرة بوتييا الكبيرة فجعل اسمها منسوباً الى بوث الذي امدّه ماله . وفي تلك الارض فوق الدرجة ٧٠ من العرض الشمالي قليل وقرب الدرجة ١١٠ من الطول العربي اكتشف النقطة المعنطسية اي المكان الذي فيه نبعه الابرّة المعنطسية انجماً عمودياً تاماً

وكان بارو قد اودع في الافكار وجود مصبى بين الجزائر والصحور التي تحيط بالساحل الشمالي من اميركا غير ان طول الطريق جعل الحاذقين في سلك البحر يقولون بوحود مسلك اخر اقصر مسافة فجعل بوغار لكسبر نقطة الارتحال للمساعي فيما يلي . فالافادات التي اخدها فريكلين في رحلته الاخيرة حملته على التوجه جنوباً بعد اجنبار مصبى بارو . وكان يعرف تلك السواحل معرفة جيدة وساعدته فطنته على صحة المنهج الذي يجب ان يتبعه ورحم انه يجد المطلوب في جهة الجنوب بعد عناء شديد ومشتقات لا توصف اتصل الى كشف معبر طالما تمناه هو ومن قبله وكان قد تقدم في سبيله الى بوغار فكتوريا . ولم يدر ان يصل الى راس بارو المؤدي راساً الى بوغاز بيرين لكنه تعزى قبل موته بكونه وصل بمجده بين اكتشافاته واكتشافات ماك وديز وسيمسون برّاً وكان مشاركا لهم في هذه ايضاً قال بعضهم " ان فريكلين ورفاقه صنعوا مباديات حياتهم او بمطرفة موتهم آخر حلقة من سلسلة الاكتشافات حول برّ اميركا " لكن بسبب موت فريكلين بقي اكتشافه ذلك المعبر مجهولاً الى سنة ١٨٥٩ حين كشفه ماك كلتيوك كما مرّ آنفاً

وكانت ماك كلور قبل هذا العهد تسع سنوات (اي سنة ١٨٥٠) قد رحل مع كوسون الطواف حول برّ اميركا مارين بوغار بيرين . ففي الشتاء انفصل ماك كلور عن رفيقه وتقدم بسفينته الى جهة الشمال الشرقي يطلب في ذلك الساحل مسلكاً في الجليد القطبي . فاحتاز نهر ماك كنزي ووصل امام ارض بنك فحاول الطواف حولها من جهة الساحل العربي فاعترضه الجليد

فعاد الى سته من الساحل الشرقي واصطر ان يميل الى جهة اليمين فاكتشف
ارضاً سماها البرنس ألبرت واتت اليه احترق مضيقاً فاصلاً بين هذه الارض
وارض سك وهو يسير الى جهة الشمال الشرقي . فتنشط بهذا الناح وعزم على
التقدم بزيادة مسعة الجليد فاقام فصل الشتاء واخذ يسير في العمالات ويدقق
البحث في المراكز الى ان تحقق اليه وصل الى خليج مليل الذي دخله ناري
سرعة في رحلته الاولى فكان فرحة فائق الوصف لحله مشكلاً طالما انعب
الماس العظام غير انه كان يجهل كعبه ان اول من احثار هذا السبل
وركنين الى ان طهر الامر بعد خمس سنوات . وهكذا تقرر انه يوجد معبر
واكثر ايضاً من جهة الشمالي العربي بطاف بواسطته حول ر اميركا لكن
لا يستطيع السمن ان تختار تلك المعابر الدوام الجليد

واما مسألة المعبر الشمالي الشرقي فلم يلتفتوا اليها اولاً لاشغالهم بالاولى .
وكان النور مندبون الذين اكتسحوا اورما وانصلوا بسواحل اميركا قبل ان
اكتشفها كولمبس خمس سبب لم يتجاوزوا في اختارهم شمالاً البحر الايض . فاول
رحلة كانت عابتها الجهة الشمالية رحلة ويلوغي وتحتبه رتسردتسلور وكان
الذي حث عليها سنة ١٥٥٢ الديديان المشهور الانكليزي كاوت وذلك
لكشف طريق من الشمال الشرقي الى بحر الهند وقد طمأنهم يصلون اليه
باخذ الاحتياطات اللازمة لنظع تلك البحار الشمالية الكثيرة الاحطار عبر ان
مساعهم حطت فهلك منهم جماعة تحت رئاسة ويلوغي من شدة الجوع والبرد
بين جبال الجليد واما الداقون فانصلوا بالهند الى سواحل روسيا حيث
اسسوا مدينة اركيجل . وانصل شنسلاور بخذقه وحسن تدبيره الى بلاط القيصر
الروسي ايها الرابع واستعطفه حتى منحه امتيازاً تجارياً وارسل معه ودا الى
انكلترا فدهم بوء شديد عند سكونلندة كسر السمن وغرق شنسلاور ومن
ذلك العهد جرت المواصلات التجارية بين روسيا وانكلترا

وسنة ١٥٥٦ و ١٥٦٠ و ١٥٨٠ ارسلت انكلترا عدة لجن فاعترضها الجليد

حتى لم تدخل بحر كارافصعف عزم الانكليز وقل اهتمامهم بهذا الشأن . لكن على عهد الملك جاك الثاني أرسل وود سنة ١٦٧٦ في سفينتين احدها مشحونة بضائع للتجارة في الصين واليابان فوصل الى زملة الجديدة وانكسرت السفينة التي كان فيها قطع الحديد . فيئست انكثرا من ثم من امكانية احتياز البحار الشمالية الى جهة الشرق الى ان قام كوك المشهور برحلته العظيمة وحاول فض هذا المشكل فسافر من بلهوث سنة ١٧٧٦ وبلغ بوغار بيرين سنة ١٧٧٨ بعد ان نجول بتخاف في اقطار الناسيفيك (راجع رحلته في كتاب ملخص السياحات الكبرى)

وكان الهولنديون يجهدون جداً في وجود معبر من الشمال الشرقي الى الناسيفيك فسنة ١٥٩٤ خرجت اربع سفن تحت امرة الاميرال كورنايس كورنايسون وديد بابيه الاول بارتس فصي كل منهما في جهة وحسباً بعض نتائج حسنة فكورنايسون وصل الى جزيرة فيغتش وقطع بوعاز كارا وراى امامه بحراً فسيحاً غير متجمد فعاد على الفور ببشرائه وحد المعبر الشمالي الشرقي واما بارتس فبلغ سواحل زملة الجديدة واستقراها الى راس ناصو وكانت كل قطع الحديد المنكسر في الشمال تاتي من هناك فحاول احتراقها عشرين مرة فخاب ثم انضم الى كورنايسون وعاد معه الى هولنده

ففي السنة التالية ارسلت سبع سفن لما ظهر من تباشير الجحاج ومعها بضائع رسم الصين وكان بارتس ايضاً الديديان الاول فعادت السفن خائبة لان الفصل لم يوافئها فصعف عزم هولنده ووعدت بجائزة سبية لمن يجد المعبر الشمالي الشرقي الى الصين

ف سنة ١٥٩٦ ارسلت سفينتان وكان بارتس الديديان في هذه الرحلة فتبيل انهم اجتازوا الدرجة ٨٠ في ندمهم تمالاً ليحنازوا زملة الجديدة . والحقق انهم بلغوا ارخبيل سبتسبرغ في فصل رأوا فيه من الحيوان المسمى رنى قطعاً كثيرة تسرح في سهول تلك الجرائر . واخيراً دهمهم الشتاء فرجعوا ومات بارتس في

الطريق . وقد نجت من هذه الرحلة نتائج عظيمة جغرافية . وبرزت اهمة بعد ذلك من جهة هولندية

وكانت روسيا حينئذ على عهد ايمان الرابع تنفدم في الجهات الشمالية مكتسحة سواحل سيبيريا . ولما استولت على كينسكا في القرن السابع عشر ارادت استفراء سواحلها الشمالية وبعد مدة قصيرة تقدم يرين لخدمتها وطاف حول السواحل الشرقية من سيبيريا ومات بعد ان سى باسمه الجزيرة والبحر والمصيق التي اكتشفها فصار ساحل اسيا الشمالي الشرقي معروفاً تقريباً بمد ستة ١٧٢٠ الآ ما بين كوليما وهرليما من ساحل سيبيريا واما ما وراء ذلك الدهر فتقي مجهولاً الى حد حرية فيعش الآ ان بعض التجار كانوا حذراً من مشفات الاسفار يتقدمون على خط مستقيم الى ان يبلعوا خليج اوبي بواسطة قوارب صغيرة يستخدمونها ايضاً مكان البعالات على البر والحديد

وحينئذ عزمتم المملكة حة الروسية ان ترسل لجنة لاستفراء كل سواطيء الاوقيانوس المتخمد الشمالي . فجهزت لها تجهيزاً عظيماً حتى اقامت اللجنة في البحث عشر سنوات وعادت بفوائد حمة لم تعرف الا في اواسط هذا القرن وبما كانوا يستفرون سواحل بلاد السويدية اكتشفوا شبه جزيرة تيمور المزدوجة وحاولوا تكراراً الوصول الى ياكوتسك نهر يبيسي . وبلغ واحد من اكثرهم اقداًما الطرف الاقصى من ذلك البر السيبيري فسماه بما معناه الراس الشمالي واما الجغرافيون المتأخرون فسموه باسمه اي تشيليو سكين اكراماً لذكره وسنة ١٧٢٦ تمت معرفة كل سواحل اسيا براً وفي مجهولاً منها بحراً قسم كبير من شبه جزيرة تيمور . وسنة ١٧٦٨ اكتشف روسيو سلوف بوعاز مار متى فكان نقطة مهمة للاسفار . وسنة ١٧٧٠ رأى احد التجار السيبيريين واسمهُ لياكوف كثيراً من الرنى آتية من الشمال فاراد ان يعرف من اي ارض قادمة فضى يقفو الابح حتى بلغ على مسافة قصيرة مجموع حزر سميت باسمه ووصل ايضاً الى حل عظيم من هياكل الحيوان المسى «مموث» وهو من اكبر الحيوانات

المفرصة فصاروا يتخذون العاج من تلك العظام وتوفر مخ روسيا من هذه التجارة ومن سنة ١٨٠٩ الى سنة ١٨١٢ استقرى هودسنرسم الروسي مجموع جزر ليالكوف المسمى ايضاً سيبريا الجديدة . تم فحص رنجل داخوشواطيء لبنا الى الدرجة ١١٥ من الطول الشرقي واستمر رنجل في محضه اربع سوات اتت في انائها وحدث بر شالي سي باسيه . وهكذا استطاع هو وهودسنرسم وكلت ان يبرهنوا عن مدور وجود الجليد تمالي جرر ليالكوف الى ارض رنجل

ومن سنة ١٨٢١ الى ١٨٢٤ قام لونيكي برحلة علمية في بحر رنبلة الجديدة وسنة ١٨٢٧ جدد المباحث هناك العالم باير الروسي عبر انه لم يتجاوز حد الجليد فعاد وقرر ان يحركارا مستودع اعظم لكل جليد القطبة وان الاحق هو الذي يحاول فتح طريق في خلاله فسكن الناس عن المحارة المذكورة مدة ثلاثين سنة عبر ان جمعية الجغرافية الروسية كانت تعقد هذا المشروع بتسييرها من يكتشف الآثار الطبيعية الارضية والجوية في انحاء سيبريا . وسنة ١٨٤٢ استقرى ميدنرف بعد عماء شديد الجون والبحيرة والمهر التي في شة جزيرة تيمور وكانت المسألة تزداد جلاء بزيادة الرحلات وبدل الهم حتى راي تاجر روسي اسمه سيدورون سنة ١٨٤٥ اروما لارسال سفينتين فلم يتجاوزا شة جزيرة سمويده . وكان الصيادون النرويجيون ياتون كل سنة يحركارا فعلم من تقاريرهم ان هذا البحر لا يبقى متجمداً وان فيه معابر الى جهة الشمال .

وسنة ١٨٧٢ دخلت نروج سفينة نسوية فيها قائدان حيران وهما ناير وويرحت فاصدا دخول البحر القطبي السائل والتفتيس على المعبر الشمالي الشرقي فوق زملة الجديدة فاسر الجليد السفينة هناك وتراكت قطعه وتماسكت جداً حتى لم يوتر فيها منشار ولا اقوى منه واستمر في عذاب شديد عدة شهور وفي ٣٠ نيسان سنة ١٨٧٢ راوا برأ وكانوا عند الدرجة ٧٩ والدقيقة ٤٣ من العرض الشمالي والدرجة ٥٩ والدقيقة ٢٢ من الطول الشرقي لكن منعهم الحليد عن بلوغ هذا البر فسموه ارض ورسوا جوزف ثم تشق الجليد في فصل

الخريف وانحلّ عن السفينة لكن بقيت تحت الخطر من صدمات قطعها واسرع
الركاب الى البرّ المذكور ثم تيسر لهم الرجوع قبل فصل الشتاء. وعرف ان السفينة
بلغت الدرجة ٧٩ والدقيقة ٥٨ محاذة بمضيق كثير الجرائر سمي مصيق اوستريا
ورحلوا رحلة اخرى بالعوا بها ارض زنجي وصعدوا قمة هيمولت التي ارتفاعها ١٦٠
متراً واشرفوا منها على انحاء الاوقيانوس المتحد محاولين وجود مسلك يخلصون
به من اسرهم فلم يجدوا فتركوا السفينة ومصوا في العجالات وكثيراً ما كانوا يغرقون
في الثلج الى الركبة ويشند عطشهم من شدة التعب حتى كانوا يستنوفون الثلج
ونفا شهرين لم يتقدموا اكثر من اربعة كيلومترات واستمروا في هذا العذاب
نحو ثلاثة اشهر الى ان وصلوا الى ساحل زميله الجديدة *

وكانت اكثر الدول عارضة حائرة سية لمن يكتشف المعبر الشمالي الشرقي
ومضت عدة سنوات بدون نتيجة . وكانت نروح ترسل الصيادين الى الاقطار
الجليدية وتبالي في البحث وكذلك اسوج كانت لانالو جهداً في الاستفراء
وكان منها رجل اسمه بوردنسكيولد قصي عشرين سنة وهو يهتم بهذه المسألة
ورحل خمس رحلات من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٧٢ واقع الحكومة ان تلامر البحث
في فصل الشتاء ايضاً بتواصل العمل . واستنخ من تثيرات صيادي نروح ان
المعبر من البحر الابيض الى نهر لينا ممكن في العمل وان استحال في الفكر
فعمم على رحلة اخرى وساعده ناجر آخر اسوجي . جهز له سفينة على نفقته
ورحل سنة ١٨٧٥ الى ان دخل بحر كارا فوجد قسماً كبيراً منه غير متجمد
وكان الماء عدناً وعرف انه آت من سيول وانهار عطية ساحلية فسار في ذلك
الماء الى الدرجة ٧٥ والدقيقة ٣٠ فطهر له اخيراً ان انحلال الجليد هناك ناتج
عن الصواب مياه نهريّ بيبسي واوبي الحارة في شهر آب وقد اكتشف وصلاً عن
ذلك عدة انواع من الاتجار في اعلى اقطار سيبيريا عند الدرجة ٧٠ وكانت
الاراضي خصبة جداً عند الدرجة ٦٤ والعمات بصرة والمروج والمناشي كثيرة
وهذا ما حمل الناس على اشد العجب

ثم رجع هذا الرجل العظيم وقد كشف في بصعة اساييع ما لم يكشف قبله
 بدهور وفتح طريقاً من اعظم الطرق للتجارة . واجتاز بحر كارا الى مصب نهر
 ببسي . وهكذا كشف ذلك المعبر الذي قصت فيه الدول سنين كثيرة ولم
 تكشفه . وذلك انه سافر في فصل موافق يكون فيه الجليد ذائناً في بحر كارا
 فتكون الطريق مفتوحة . وكان من قلة لايراعون هذا السر اللطيف

ثم عزم على رحلة اخرى يطوف بها حول آسيا كلها خارجاً من روج وماراً
 بالاقويانوس المتحد وراجعاً من رزخ السويس فامده صديق له اسمه
 دكسون مال كبير وساعده ايضاً بعض الملوك حتى كانت الدخيرة كافية لعدة
 سنين . فخرج في تموز سنة ١٨٧٨ وبلغ راس مارمى ومن بحيرة فيغتش
 وهناك لست مدة يدق المثلث في ما لم تتحقق معرفته منتظراً دخول الشهر
 الموافق لقطع بحر كارا . وقد عرف ان الذين سقوه لم يكونوا ينتظرون الى
 واسط ايلول خوفاً من تعرقهم بتقطع الجليد مع ان الوقت المناسب او احر ذلك
 الشهر . وعطف في طريقه شمالاً لعله يبلغ القطب غير ان جبال الجليد معته كما
 منعت غيره فعاد حوثاً وسار مفاراً للساحل السبيري ليستفري ويدقق
 وكشف عدة جزر وضبط مواقع الاقطار الى غير ذلك

غير انه تعوق بالاستفراء واسرع دخول الفصل الثامن فقص عشرة
 اشهر منتظراً حلول الوقت المناسب للوصول الى بوعار بيرين . فلما كان
 ثامن عشر تموز سنة ١٨٧٩ سار في طريقه وبلغ اليابان في ايلول ولم يفد من
 رجاله احد ووصل الى بلاده بامان وقد دار حول اسيا واوروبا معاً
 وهكذا كشف المعلم بوردنسكيولد الاسوجي المعبر الشمالي الشرقي من اوربا
 الى الصين والهند سوعاز بيرين باجنياز البحار الشمالية في شهر ايلول . وبهذه
 الوساطة حصلت الاتصالات التجارية العظيمة بين اسيا واوروبا واقطار سيبيريا
 الشمالية بسهولة لا تتدر لها قيمة . وكانت فائدها العظمى لروسيا

خاتمة

— ❦ —

في طبيعة القطبتين

اما النظمية الشمالية فلكثرة السياحات فيها وتكرار الاستقراءات الجغرافية والطبيعية قد استمداد العلماء عن احوالها فوائد اخبارية جلية الشأن يطول شرحها لكن ما يحجب الالتفات اليه هنا ثلاث قضايا مهمة الاولى طول مدة الليل هناك وما يظهر فيه من المظاهر الثابتة الشفق الشمالي النالمة كثرة وجود الحيوانات في داخل النظمية . هذا مع قطع النظر عن مجاري القطع الجليدية العظيمة وما يتأتى عنها من مصاعب التجول

فالشمس هناك تخفي عدة اشهر تحت الافق والذي يمر عليه فصل الشتاء اول مرة لا يملك نفسه ان يرتعد ويحنق قلبه رعباً من احوال الطبيعة الظلامية حتى ان الحيوانات تظهر عليها امارات الرعب .

ويختلف طول الليل باختلاف الدرجات فعدد درجة ٨٠ تكون مدة الظلام ٢٧ يوماً لكن يظهر في السماء بعض اوار خفيفة محضرة وقد تسطع حتى تكشف المحرّة ولا يملك الظلام الا سقوع التلوج وتكاثف الصباب . وفي مدة ذلك الليل تطف حاسنا السبع والنظر فتظهر للعين مناظر غريبة كالسراب والهالات والشموس الكاذبة والاقمار الكاذبة ولا سيما الشفق الشمالي العظيم الذي يعظم ويتكاثر كلما هت ربح الجنوب وقد عرف ان سبب هذه المناظر تكسر النور البعيد في قطع الثلج السابجة في الفضاء وانعكاسه عنها . واما المسموعات فتزيد قوتها فاذا سقط حجر مثلاً يخرج لوقعه صوت كصوت المدفع

وإذا تكلم الانسان يسمع صوته الى مسافة كيلومتر وبفهم كلامه
 ولذلك يكون اعظم فرح للانسان هناك قرب وقت طلوع الشمس
 تظهر اوارها أولاً شيئاً بعاظماً بالتدرج ويظهر القمر أولاً ضعيف البور ثم يجرى
 ثم يعلى ويسطح نوره حتى يرى الانسان على مسافة كيلومتر . وبعد خمسين
 يوماً من اول تباشير الشفق تظهر الشمس بهاها ونمكت أكثر من أربعة اشهر
 على الافق فتكون لظهورها اعياد عامة في الاقطار الشمالية ويصرمون برباً
 عطية في ٢٤ حزيران الذي هو اطول ايام الصيف عدهم

وفي اعد نقطة شمالية انصل اليها الانسان وحدث آثار الحياة النباتية
 والحيوانية بكثرة حتى ان الثلج تعيش فيه ملايين وروثات من حيوانات صغيرة
 ومكسكوية وصفورية حتى اذا داس الانسان بقية تظهر على اثر قدمه
 اربعة ماهرة متألثة . وكثيراً ما شاهد الدين بلعوا الدرجة ٨٢ و ٨٣ قطعاً من
 الحيوانات ثاني من جهة الجنوب ودخل داخل المنطقة الجليدية وشاهدوا ايضاً
 اسراراً لا تحصى من الطير في افاضي الافق فاستدلوا على وجود بحر سائل وحر
 حي في وسط القطبة . غير ان مسألة البحر السائل لم تثبت على ثقة

واما القطبة الجنوبية فلم يستعملوا باستقراؤها أولاً لان الجليد هناك اكثر بكثير
 ما في القطبة الشمالية بحيث لا يكون وقت يتيسر فيه تحللها والعمران اعد عنها
 كثير ما عن الشمالية والأتار الجوية ضعيفة ايضاً بالنسبة الى ما في الشمال . ومع
 ذلك فقد ارسلت لجن مخصوصة تقيم في الجرائر القريبة لرصد طواهر الطبيعة
 وما يتعلق باحوال الاقطار الجنوبية وجرافية القطبة على قدر الامكان . ولا

بد ان ياتوا في ائد دون الحصول عليها اذل النفوس والاموال
 هكذا هم الله الانسان بقوة داخلية ان يتفهم مخاطر الدنيا ويحتم
 تدقيق عن احوال هذا الوطن العالي لكي يرداد

تجيداً قدرته وتسبيحاً لجلاله

وحكمته

